

أفكارنا

توم سُوِير



يقلم: حلمى مراد

عن: ماركي تويين

توم سُویر



أولادنا

٢٧

توم سُوَيْر

بقلم: حلمى مراد

عن: مارك توين

الطبعة الثانية



دارالمعارف



قام بتلخيص هذه الرواية عن النص المطول
الدكتور وليم الميرى

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع. ٠

توم سوير

للكاتب الأمريكي الكبير «مارك توين»

هذه القصة من أشهر القصص في الأدب الأمريكي ، ويندر أن تجد أمريكياً أو قارئاً للإنجليزية لم يقرأ في صباه قصة «توم سوير» . وقد ترجمت هذه القصة إلى جميع اللغات العالمية ، فقرأها الفتيات والفتيان في جميع البلاد .

وسبب شهرة هذه القصة أن مؤلفها مارك توين قد سجل فيها ذكرياته عن أيام صباه العابثة ، في قرية تقع على شاطئ نهر «الميسيبي» . فالمغامرات الممتعة التي أقدم عليها الولد العابث الجريء «توم سوير» قد حدثت بالفعل للمؤلف «مارك توين» في صباه !

و «مارك توين» اسم مستعار لأشهر كتاب أمريكا في القرن الماضي . أما اسمه الحقيقي فهو «صمويل لانجهورن كلينمز» . وقد ولد في ولاية (فلوريدا) الأمريكية عام ١٨٣٥ . وعمل في صباه بائع جرائد . وعامل مطبعة ، ثم أصبح مرشداً للقوارب النهرية في (الميسيبي) . وبعد عامين من العمل في النهر ، بدأ يكتب قصصاً فكاهية أذاعت اسمه . فاحترف

الكتابة ، وقضى وقته فى الرحلات والسفر ، وأشهر كتبه التى خلدت اسمه
هى : « مغامرات نوم سوير » ، و « مغامرات هكلبرى فىن » ، و « الأمير
والفقير » ، و « الحياة على نهر المسيسى » ، و « يوميات آدم وحواء » .
وقد توفى (مارك توين) عام ١٩١٠ .





١

- «توم» ! «توم» ! ... تعال
يا «توم» ! ... عجباً ! . أين ذهب هذا
الولد ؟ ... يا ولد يا «توم» !

وأرْخَتِ السيدةُ العجوزُ نظارتها ، ونظرتُ
من فوقها ، وأجالت عينيها في جوانب الغرفة .
ثم أعادت وضع النظارة . ونظرت من خلال
زجاجها ، وبدت عليها الحيرةُ لحظة . ثم قالت
بصوت ليس بالحاد . ولكنه عال يصل إلى سمع

قِطَعِ الأَثَاثِ الجَامِدَةِ :

- حسناً ، آه لو وضعتُ يدي عليك ، فسوف . . .

ولم يظهر « توم » ، فرفعتُ صوتها أكثر وصاحت :

- تو- و- م . . . توم !

وأحسَّتْ بِحَرَكَةِ خَافِتَةٍ مِنْ خَلْفِهَا ، فَتَلَفَّتْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ،

وَأَمْسَكَتْ وَلِداً صَغِيراً مِنْ كَتَفِهِ ، وَقَالَتْ :

- آه ، كان يجب أن أفكّر في البحث عنك وراء هذا «الدولاب»!

ماذا كنتَ تفعل هناك ؟

- لا شيء يا خالتي !

- لا شيء ؟ انظر إلى يديك ، بل انظر إلى فمك ، لا تزال

آثارُ « المربّي » عالقةً به ، قلت لك أربعين مرة لا تلمس المربّي ،

سوف أجلدك بالعصا !

وارتفعت العصا في الهواء ، وأحسّت « توم » بوقعها قبل أن تصل

إليه ، فصاح فجأة :

- انظري خلفك يا خالتي !

واستدارت الخالة بسرعة . وفي هذه اللحظة انطلق الصبي بأقصى

سرعته ، وقفز من سُورِ الحديقة ، واختفى وراءه ! . . . فانفجرت الخالة

« بولي » ضاحكة ، وهي تقول لنفسها :

- يا له من عفريت ! إن حيلته كثيرة ، وهو يعرف كيف

بضحك علىّ ، ولا أستطيع أن أناله بعضاى ، ولكنه ابن أختى المتوفّاة ،
ولا يُطاوعنى قلبى على ضربه بأىّ حال . إنه يلعب الآن « الهوكى » ،
وسأعاقبه بالعمل فى المنزل غداً . فى حين يتمتّع غيره من الأولاد بيوم
الإجازة . إنه يكره العمل أكثر من كُرّه أىّ شىء آخر . ولكن يجب
علىّ أن أؤدى واجبى نحوه وأحسن تربيته !

وكان « توم » فى تلك الأثناء يلعب الهوكى فعلا . ثم سبّح بعض
الوقت فى البحيرة المجاورة . وعاد فى الوقت المناسب لتناول العشاء .
وخلال العشاء حاولت الحالمة « بولى » أن تحتال عليه فى الحديث . لتعرف
منه هل نزل إلى البحيرة أم لا ؟ . . . فقالت شبه متسائلة :

— كان الجوّ حارا اليوم يا « توم » !

— نعم يا خالتى .

— حارّ جدا ، أليس كذلك ؟

— هذا صحيح .

— ألم تسبح فى البحيرة يا « توم » ؟

— لا ، لم يكن لدىّ رغبة فى السباحة اليوم . . .

ومدّت السيدة العجوز يدها ، وولست قميص « توم » . كان جافاً .

وكانت ملامح وجهها لا تُنبئ بشىء ، ولكن « توم » أدرك نواياها ،

فقال بسرعة :

— بعضنا غطس برأسه فقط في الماء ، حتى إن شعري لا يزال مبتلا .

انظري .

وهنا خطرت للحالة « بولي » فكرة بارعة ، فقالت :

— أظنّ أنه ليس من الضروري أن تفك « ياقة » قميصك التي

خطتها لك لتغطس رأسك . هل فككتها يا « توم » ؟ .. اخلع « جاكنتك »
لأرى « الياقة » !

وأطاع « توم » .

وكانت الياقة مخيطة بعناية !

فقالت للحالة :

— هه ! حسناً ، نجوت مني ، وإن كنت متأكدة من أنك

لعبت الهوكي ، وسبحت في البحيرة !

وهنا تدخل « سدي » — شقيق « توم » من والدته — فقال :

— أذكر أنك خِطت له ياقة قميصه بخيط أبيض ، وهذا خيط

أسود !

فصاحت للحالة :

— فعلا ، لقد خِطتها لك بالخيط الأبيض يا « توم » !

ولكن « توم » لم ينتظر الباقي ، فانطلق خارجاً قبل أن تمتد إليه

عصا الحالة ، وهو يتوعدّ أخاه ويقول له :

— سأضربك علقه على هذا يا « سدي » !

وبعد أن أصبح «توم» في الشارع ، وشعر أنه في مكان أمين ،
أخرج بكرتسيّ خسيط من جيبه وفحصهما ، وقال لنفسه :

— ماذا أفعل معها ؟ إنها تخيط الياقة بالخيط الأبيض مرة ،
وبالخيط الأسود مرة أخرى ، ولا أتنبه إلى ذلك في بعض الأحيان !

* * *

وسار وهو يصفّر ، وكانت الشمس قد مالت إلى المغرب ، ولكنّ
ضوءها كان لا يزال يُنير الدنيا حوله . . . وفجأة كَفَّ «توم» عن
الصفير ، عندما لمح شبح ولد غريب عن قرية (سانت بترسبرج) —
فقد كان «توم» يعرف أولاد القرية جميعاً ، وكان متأكداً أن هذا الولد
ليس منهم! — وظهور إنسان جديد في القرية الصغيرة شيء يُثير العَجَب ،
ولكن هذا الولد لم يكن غريباً فقط ، بل كان مثيراً للانتباه أيضاً . كان
أطول من «توم» ، ملابسه نظيفةٌ أنيقة ، ويضع فوق رأسه قلنسوة ،
وربطة عنق حول رقبته . وأكثرُ من هذا ، أنه يلبس حذاءً جديداً ، مع
أنّ اليوم كان يوم الجمعة وليس يوم أحد ، ولم يكن من أيام الأعياد
أيضاً . . . ومع ذلك كان في مظهر الولد الغريب ، والجو المحيط به ،
شيء لم يرق «توم» !

ونظر كلّ من الولدين إلى الآخر في صمت وتحفّز ، ثم قال
«توم» :

توم : إننى أستطيع ضربك !
الغريب : تعالَ وجربِ !
توم : أتظنّ نفسك قويًّا ؟ إننى أستطيع ضربك بيد
واحدة . ويدي الأخرى خلف ظهري !
الغريب : هذا كلام إنسان جبان ، وإذا لم تكفّ عن هذه
السخافات كسرت رأسك !

توم : ها . . . ها . . . حقًّا ؟ !

الغريب : طبعًا !

توم : إذن تعالَ واكسرها ، إذا لم تكن خائفًا منى !

الغريب : لست أنا الخائف . . .

توم : بل أنت !

الغريب : بل أنت . . .

واقرب الولدان ، ووقفًا كتيفًا لكتف ، وضمّ كلّ منهما قبضة
يده . ولكنهما لم يفعلا شيئًا آخر . وقال « توم » :

— إنك جبان . وسأجعل أخى الأكبر يسحقك باصبعه الصغيرة !

— لا يهمنى أخوك الأكبر ، فعندى أخ أكبر منه ، وأخى يستطيع

أن يقذف بأخيك من فوق هذا السور !

وفجأة تحرك « توم » ، ورسم خطًّا على التراب بأصبع قدمه الكبيرة

وقال :



— أتحدّك أن تعبر هذا الخطّ !

فعبّر الولد الغريب الخطّ في تحدّ وقال :

— لقد قبلت تحدّيك ، أرنى قوتك !

— سأراهنك بقرشين^(١) على أنى أستطيع أن أضربك !

فأخرج الولد كميّة من النقود من جيبه . ولوّح بها في ازدياء في وجه

« توم » . فأسرع « توم » وخبط يد الولد . وأسقط النقود منها على

الأرض ! . . . وفي لحظة تماسك الولدان . ووقعا على الأرض ،

(١) استعملنا « القرش » هنا بدل « السنت » وهو العملة الأمريكية الواردة في أصل

القصّة ، لتقريبها إلى ذهن القارئ العربي .

• المترجم)

وأخذوا يتدحرجان على التراب ، ويتضاربان بشدة ، وكل منهما يشد شعر الآخر ، ويمزق ملابسه !

... وبعد معركة عنيفة ، انزاح الغبار ، وظهر « توم » جاثماً فوق ظهر خصمه ، يهدّده بقبضة يده ، والولد المسكين يحاول التخلص منه . . .

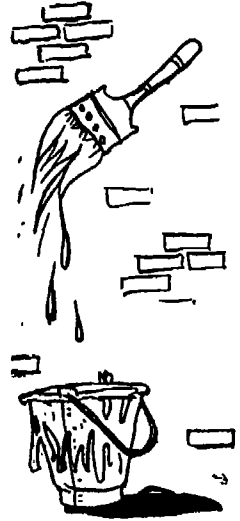
وأخيراً قال « توم » في كبرياء :

— هذا درس لك حتى تتأكد من شخصية الناس قبل أن تتهجم

عليهم !

وترك « توم » الولد الغريب ، فقام هذا في هدوء ، وسار ينفض التراب عن ملابسه الغالية ويبكى ، وهو ينظر خلفه مهدداً « توم » بأنه سوف يعود إليه ويضربه ، في مرة قادمة !

وعاد « توم » متأخراً في تلك الليلة ، ولما رآته الحالمة « بولي » ، والتراب يكسوه ، وقد تمزقت ملابسه ، قررت أن تجعله يشتغل في اليوم التالي ، وتحرمه من الإجازة !



٢

وجاء صباح يوم السبت ، وكان يوماً مشرقاً
منعشاً مملوءاً بالبهجة ، وكانت السعادة تملأ كل
قلب . . . ما عدا قلب « توم » !

كان « توم » يسير في طريق جانبي ، وفي
يده « جردل » مملوء بسائل الجير الأبيض ، وفرشاة
ذات يد طويلة . كان عليه أن يبيّض السور
الذي يمتد على طول الطريق ! . . . ونظر
« توم » إلى السور الطويل العالى ، وشعر بالحزن

الشديد يملأ صدره ، فتأوّه وهو يغمس الفرشاة في « الجردل » ، ويمرّ بها في أعلى السور عدّة مرّات . . . ثم نظر إلى الجزء الأبيض ، وقارنه بالمساحة الشاسعة التي لم تبيّض بعد . . . فانقبض قلبه !

. . . وجلس « توم » على صندوق فارغ ، وقد غلبه اليأس . . . وجاء الولد الأسمر « جيم » - الذي يساعده أيضاً أحياناً في أعمال النظافة - وهو يثب في مشيته ، حاملاً « جردلا » صغيراً . كان في طريقه إلى « طلمبة » القرية ليملاً « جردله » بالماء . وكان « توم » يعتقد دائماً أن « جيم » لا يحسن أى عمل من الأعمال ، ولكنه الآن غير رأيه ، فقد تذكر أن عدداً كبيراً من الأصدقاء يلتقون عند الطلمبة . ولما اقترب « جيم » قال « توم » :

- اسمع « يا جيم » ، سأحضر لك الماء ، إذا بيّضت لى جانباً من هذا السور !

فهزّ « جيم » رأسه ، وهو يقول :

- لا أستطيع يا سيد « توم » ، فقد حدّرتنى السيدة خالتك ، وقالت لى : « إذا طلب منك « توم » أن تساعده فدعه وشأنه ، وامض في طريقك » . . . لذلك أنا آسف جداً يا سيد توم !

فقال « توم » :

- لا تهتم بما قالت ، فهى لن تعرف شيئاً !

وأجاب الولد :

— لا أستطيع يا سيد «توم» ، فإنها سوف تعاقبني ، أنا واثق من ذلك . سوف تضربني على رأسي !
— كلا ، إنها لا تضرب أحداً على رأسه ، إنها طيبة ولا تعني ما تقول ، ثم إنني سأعطيك قرشاً .

وبدأ «جيم» يتخاذل . . ثم قال :

— قرش ؟ ولكنني خائف جداً ؟

ولم يستطع «جيم» مقاومة الإغراء — فهو بشر ! — فوضع «جردله» على الأرض ، وأخذ القرش . . . وفي تلك اللحظة ظهرت الحالة «بولي» عائدة من الحقل . ولم يكذب «توم» يراها حتى أسرع إلى فرشاته ، وأخذ يبييض السور بقوة وحماسة ، أما «جيم» فقد حمل «جردله» وفرّ هارباً !

لكن حماسة «توم» لم تستمر طويلاً ، وبدأ يفكر في برنامج اللعب الذي أعدّه ليومه ، وفي الأولاد الذين سيسخرون منه ، وهم في طريقهم إلى اللعب ، وهو مستمرّ في عمله السخيف ! . . . وعند هذه الفكرة تملكه الغضب الشديد ، فأخرج كلّ ثروته ، وعدّها ، فإذا بها قروش قليلة لا تشتري له ساعة من الحرية . . . فأعاد ثروته إلى جيبه ، واستسلم لليأس !

وسرعان ما لمع في ذهنه خاطر . . . فأمسك بفرشاته ، وعاد إلى العمل ، وقد ظهر «بن روجرز» من بعيد . . . وكان «بن روجرز»

أثقل الأولاد ظلا على قلب « توم » . وتقدم « بن » وهو يقضم نفاحة شهية . . . ولكن « توم » مضى في عمله ، بدون أن يلتفت إلى « بن » . . . فحملق « بن » لحظة ، ثم صاح :

— ماذا تفعل يا « توم » ؟

وتظاهر « توم » بأنه لم يسمع ، ومضى في عمله ، وهو يتأنى في تمرير الفرشاة ، تأنى « الفنان » المعجب بفنّه ! . . . في الوقت الذى كان فيه لعبه يسيل للتفاحة الشهية !
وصاح « بن » مرة أخرى :

— كيف حالك يا « توم » ؟ ألا تريد أن تترك هذا العمل وتأتى

للسباحة معى ؟

واستدار « توم » فجأة وقال :

— أهو أنت يا « بن » ؟ إننى لم أحسّ بحضورك ، ثم إن هذا

ليس عملا !

واستأنف عمله ، وهو يقول :

— إن تبييض سور فرصة لا تتاح للولد منا كل يوم !

وعند ما سمع « بن » هذه الجملة توقف عن مضغ التفاح ، وأخذ ينظر إلى « توم » فى إعجاب واحترام . . . ثم توقف « بن » عن قضم نفاحته ، فى حين استمر « توم » فى عمله . . . وبين الحين والحين كان يتراجع ليتأمل البياض ، ثم يضيف لمسة هنا ، ولمسة هناك . . . وكان

« بن » يراقب كل حركة ، واهتمامه يزيد شيئاً فشيئاً ، ثم قال فجأة :

— دعني أبيض قليلاً يا « توم » !

وبدا أن « توم » أوشك أن يوافق ، ولكنه غير رأيه ، وقال :

— كلا ، فإن الحالة « بولى » مهمة بهذا السور اهتماماً خاصاً ،

لأنه يطلّ على الشارع ، فلو كان السور الخلفي لما مانعت ، أما هذا

السور فلا بد من العناية التامة بتبييضه ، ولا أحسب أن هناك ولدآ في

الألف يستطيع أن يبيضه على النحو الموعوب فيه !

فقال « بن » :

— أتظنّ هذا ؟ دعني أجرب مرّة يا « توم » . . . لو كنت

مكانك لتركمتك تجرب . . .

فردّ عليه « توم » :

— أنا لا أمانع ، لكن الحالة « بولى » لن توافق ، فقد رفضت أن

تسمح « بلجيم » بالعمل فيه ، حتى « سدى » نفسه أراد أن يقوم بالعمل

ولكنها رفضت أيضاً . والآن دعني أتم عملي . . .

فتوسل إليه « بن » قائلاً :

— اسمع يا « توم » ، دعني أبيض السور وأنا أعطيك تفاحتي !

ونظر « توم » إلى « بن » لحظة ثم قال :

— أنا في الحقيقة خائف يا « بن » ، لكن لا بأس ، هات

التفاحة .

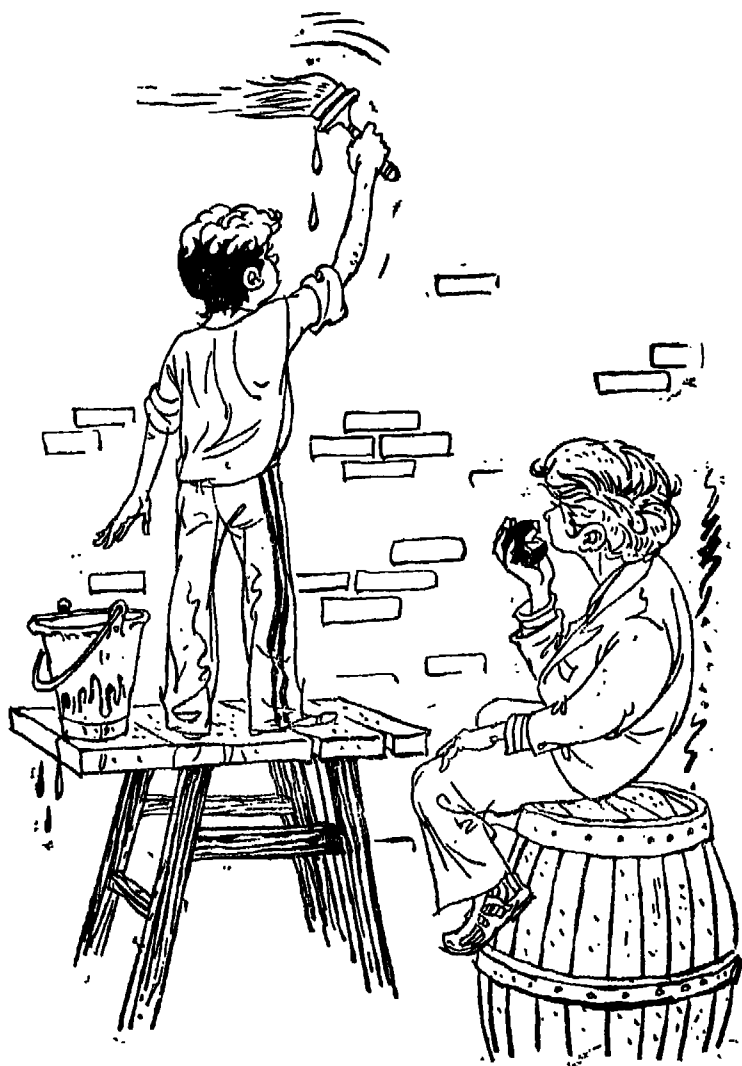
وأخذ «توم» التفاحة ، وأعطى «بن» الفرشاة ، وقلبه يكاد يطير
من صدره من الفرحه !

وهكذا ، بينما كان «بن» يعمل فى جد ومشقة . والعرق يتصبب
منه ، جلس الفنان المتقاعد «توم» على برميل فى الظل ، واضعاً ساقاً
فوق ساق ، وهو يقضم التفاحة فى تلدّذ ، مفكراً فىمن يكون ضحيته
التالية بعد «بن» !

وكان ضحيته التالية «بيلى فيشر» ، الذى انتهر الفرصة الذهبية
التي أتاحتها له «توم» فى أن يكون «فناناً» ، مقابل طيارة ورق ،
أخذها «توم» فى ضيق وتعفف !

وأشبع «بيلى» هوايته الفنية فى تبييض الحائط ! . . . وهكذا ،
ساعة بعد ساعة ، أخذ صبيان المنطقة يقومون بالعمل فى تبييض السور ،
حتى إذا ما انتصف النهار كان «توم» قد ازداد ثراءً ! . . . فإلى جانب
الأشياء التي ذكرناها ، وإلى جانب تبييض الآخرين السور — بدلا منه !
— حصل «توم» على : اثنتى عشرة بلية ، وقطعة زجاج زرقاء ، ونحلة ،
ومفتاح يفتح أى شىء ، وقطعة طباشير ، وعسكرى صفيح ، وسدادة
من الزجاج ، ومقبض باب نحاسى ، وحزام كلب — ولكن من غير
كلب ! — ومقبض سكين ، وأربع قطع من الخشب البرتقالى !

حصل «توم» على كل هذه «الثروة» ، وراح يلهو بها ، فى حين كان
الأولاد يتعاقبون الواحد بعد الآخر ، يبيسون السور ! . . . حتى فرغوا



من وضع ثلاث طبقات من البياض عليه . ولولا أن الجير نفذ من « توم »
لكان قد أفلس كل ولد في القرية !

وبعد أن أخفى « توم » كنز الثمين ، ذهب ليبلغ خالته « بولى »
أنه قد فرغ من مهمته ! . . . قال لها :

— أتسمحين لى بالخروج للعب الآن يا خالتي ؟
فسألته :

— هل فرغت من عمالك بهذه السرعة ؟ ! . . . كم بيضت من
السور ؟

— كله يا خالتي !

وذهبت الخالة للتأكد بنفسها ، وهى ترجو أن يكون « بن » قد أتم
عشرين فى المائة فقط من عملية تبيض السور — وكانت على استعداد
للرضا عنه لو كان فعل ذلك — ولكنها عندما وجدت السور كله مبييضاً ،
استولت عليها الدهشة ، وصاحت :

— هذا غريب ، إنك تستطيع العمل إذا رغبت فى ذلك ! يمكنك أن
تذهب الآن . ولكن تذكر أن تعود الليلة مبكراً ، وإلا عاقبتك .



٣

أسرع « توم » إلى الميدان الرئيسي في القرية ،
ليجد معسكرين من الأولاد على استعداد للقتال :
كان « توم » قائداً لأحد الجيشين ، و « جو
هاربر » قائداً للجيش الثاني ... وبدأ القتال بين
الجيشين ، واستمر فترة طويلة ، وانتهى بانتصار
جيش « توم » انتصاراً باهراً . ثم تبادل الجيشان
« الأسرى » ، وتحدد اليوم الذي يلتقيان فيه مرة
أخرى وبعد ذلك تفرق أفراد الجيشين ،
وأخذ « توم » طريقه إلى البيت .

وفى الطريق إلى البيت مرّ «توم» بمنزل «جيف ثاشتر» ، وشاهد فى حديقته بنتًا صغيرة لطيفة ، لفتت نظره بشعرها الأصفر الطويل المجدول ، فوقف يتأملها ساكنًا بدون أن تراه ، ولكن الفتاة أدارت وجهها فرأته ، فتظاهر بأنه لا ينظر إليها ، وأخذ يقوم ببعض ألعابه البهلوانية المثيرة . وبينما هو منهمك فى أداء لعبة خطيرة ، رآها تستدير ثم تدخل البيت . ظل «توم» واقفًا فترة طويلة لعلها تعود ، ولكن الفتاة لم تخرج ، فوضع يديه فى جيبي بنطلونه ، وانطلق إلى منزله .

وجاء صباح يوم الاثنين والحزن يخيم على قلب «توم» - وكان هذا حاله فى صباح كل يوم اثنين ، لأنه بداية الأسبوع الدراسى ! - وحاول «توم» بكل جهده أن يتغلب على اليوم «المنحوس» ، فتأوه وتظاهر بأنه مريض . ولكن لم يكن من السهل تغفّل الخالة «بولى» ، وكانت النتيجة أنها خلعت له ضرسًا كان غير ثابت فى مكانه !

وفى الطريق إلى المدرسة التقى «توم» بـ «هكليرى فين» ، وكما هى العادة دائماً كان «هوكى» أو «فين» يتمخطر فى أسماله وخرقه البالية ، وهى فى الحقيقة أسمال رجل يكبره بأعوام وأعوام : فقبعته حطام قبة واسعة ، ومعطفه يتدلّى حتى كعبيه . وبنطلونه معلق بفردة حمالة ، وأطراف البنطلون تغوص فى التراب !

وكانت كل أمهات القرية لا يحببن «هوكى فين» ، فهو ولد كسلان ، غير مهذب ، زرّى المظهر ، ومع ذلك فإن أطفالهن يحبونه بالرغم من

عيوبه - أو من أجل عيوبه ! - ويحبون صحبته . فهو يروح ويحيى في القرية في حرية مطلقة ، ينام على الرصيف في الليالي الصيفية الجميلة ، وفي البراميل الفارغة في الليالي الباردة . فليس عليه أن يذهب إلى المدرسة أو إلى الكنيسة . وليس لأحد سلطان عليه ، ويستطيع أن يستحم في البحيرة متى طاب له ذلك . وهو ليس مطالباً بأن يستحم ، أو أن يغير ملبسه !

وبالاختصار كان هذا الولد يتمتع بحرية مطلقة . وكانت الأوامر المشددة قد صدرت إلى « توم » بعدم اللعب مع « هوكى » ، ولذلك كان « توم » يلعب معه بين الحين والآخر ، كلما سنحت له الفرصة ! . . . وعندما التقى به « توم » في ذلك اليوم ، صاح في فرحة :

- أهلا . « هوكى » ! ماذا في يديك ؟

- قطعة مينة .

- دعنى أرها ! إنها جميلة وإن كانت مينة . من أين حصلت

عليها ؟

- اشتريتها من ولد .

- قل لى ما فائدة القطط المينة يا « هوكى » ؟

- إنها تشفى الحبوب التى تظهر فى الجلد .

- وكيف تشفى الحبوب ؟

فأجابه هوكى :

— بسيطة ، تأخذ القطة الميتة ، وتذهب إلى المدافن في منتصف الليل . بعد دفن رجل شرير ، وفي منتصف الليل يأتي الشيطان ، وقد يأتي شيطانان أو حتى ثلاثة ، ولكنك لا تستطيع رؤيتهم . وعندما يأخذ الشياطين جثة الشرير ، تلقى القطة وراءهم . وتقول : « يا شيطان ، اذهب وراء الجثة . . . ويا قطة . اذهبي وراء الشيطان . . . وياحبوب اذهبي وراء القطة . . . » وهكذا تتخلص من الحبوب إلى الأبد !

فقال « توم » :

- طريقة معقولة . ولكن هل جربتها يا هوكى ؟
- كلا ، ولكن الجدة « هوبكنز » أخبرتني بها .

فقال « توم » :

- إذن فهي طريقة صحيحة ، لأن المعروف عن « هوبكنز » أنها ساحرة ! . . . قل لى يا « هوكى » . متى تجرب هذه القطة ؟
- الليلة : لأنى أعتقد أن الشياطين ستأتى لتأخذ جثة « هوس وليامز » الليلة .

فقال « توم » :

- خذنى معك يا « هوكى » !
- لا مانع . إذا كنت لا تخاف .
- أخاف ؟ لا . اطمئن .

وهنا افترق الصديقان ، بعد أن تواعدا على اللقاء في منتصف

الليل !

* * *

وسار « توم » في طريقه إلى المدرسة ، وعندما وصل إلى السور
الخارجي للمدرسة اندفع إلى الداخل بسرعة ، وجلس بطريقة تدل على
الجد والاهتمام . وكان المدرس جالساً على كرسيه العالى وقد غلبه النوم ،
ولكن دخول « توم » المفاجئ أيقظه ، فصاح :

— « توماس سوير » !

وكان « توم » يعلم — عندما ينطق المدرس اسمه كاملاً — أن هناك

متاعب ستحلّ به !

فأجاب :

— نعم يا أسناذ !

— تعال هنا ! قل لى لماذا تأخرت ؟

وأوشك « توم » أن يلجأ إلى أكذوبة يسوّغ بها تأخيره ، ولكن نظره

في هذه اللحظة وقع على ضفيريّتين من الشعر الأصفر تتدلّيان وراء ظهر

مقعد . فعرف على الفور أن صاحبتهما هي الفتاة التي أعجب بها ،

وكان يجانبا المقعد الخالى الوحيد فى الصف الذى تجلس فيه البينات .

وأمام هذا المشهد قرّر « توم » أن يغيّر خطته ، بحيث يعاقبه الأستاذ

بالجلوس فى صف « الفتيات » ؟ . . . فقال :

– لقد قابلت « هكلبيرى فين » ، ووقفت أتكلم معه بعض الوقت .

وتوقفت أنفاس المدرس ، وحملق فى « توم » كمن لا يريد أن يصدق ما سمع . وساد الصمت الفصل . هل فقد هذا الولد العنيد عقله ؟ وسأله المدرس ، كمن لا يصدق أذنيه :

– تقول ماذا فعلت ؟

– توقفت لأتكلّم مع « هكلبيرى فين » . . .

إذن فإن سمع المدرس لم يخطئ ، فقال :

– يا « توماس سوير » ، هذا أشنع اعتراف سمعته حتى الآن !
اخلع معطفك .

وظل المدرس يضربه حتى تعب من الضرب ، ثم أصدر الأمر
التالى :

– الآن اذهب واجلس فى صف البنات !

وهكذا نفّس « توم » خطته بنجاح . فعبر الممر الفاصل بين الأولاد والبنات ، وجلس بجوار الفتاة ذات الشعر الذهبى . . . فابتعدت البنت قليلا . . . وعاد الفصل شيئاً فشيئاً إلى حالته الأولى . . .

وبدأ « توم » يختلس النظرات إلى الفتاة ، فقطّبت وجهها ، والتفتت إلى الجانب الآخر مدة دقيقة . وعندما التفتت ناحيته ثانية . فى حذر ، رأت أمامها ثمرة « خوخة » . فألقته بعيداً . . . لكن « توم » أعادها



إلى مكانها ، فألقنتها ثانية ، وفي صبر أعادها « توم » ، فتركها الفتاة
حيث هي ! . . . فكتب « توم » على لوحه الإردوازي :

— أرجو أن تأخذها ، فعندي غيرها !

. . . وتأملت الفتاة الكلمات ، بدون أن تبدي إشارة ما ، في حين
أخذ الولد يخطّ شيئاً على اللوح ، وهو يخفي ما يخطه تحت كفّ
يده . . . ورفضت البنت حيناً أن تبدي اهتماماً ما ، ولكن حب
الاستطلاع تغلب عليها في النهاية ، فهمست :

— دعني أرى . .

- ورفع « توم » يده عن البيت الذى كان يرسمه . فنظرت الفتاة إلى
الرسم فى شغف واهتمام ، وقالت هامسة :
- إنه رائع ، أودّ لو أستطيع الرسم .
فهمس « توم » :
- مسألة سهلة ، أنا مستعد لأن أعلمك الرسم .
- صحيح ؟ متى ؟
- فى فسحة الظهر ، إذا بقيت ولم ترجعى إلى البيت لتأكلى .
- سأبقى إذا بقيت أنت .
- حسن ، ما اسمك ؟
- « بيكى ثاتشر » !
وفى فسحة الغداء ، أعطى « توم » « بيكى » قلمًا . وبدأ يساعدها
فى الرسم ، وكانا يشعران بالسعادة وهما يتحدثان معًا : ويرسمان معًا .





٤

في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة ، سمع
« توم » - وهو نائم في فراشه - صيحةً وصوت
اصطدام زجاجة فارغة بالسطح . وبعد دقيقة واحدة
كان قد ارتدى ملابسه ، وأخذ يزحف على سطح
البيت بجانب الجدار كان « هوك » في
الانتظار ، ومعه قطته الميته !

وانطلق الولدان تحت جناح الظلام ، وبعد
نصف ساعة كانا يشقان طريقهما وسط حشائش
المقبرة الطويلة ، ووجدا القبر الحديد الذي كانا

يبحثان عنه ، ثم احتميا وراء ثلاثة أشجار تبعد قليلا عن القبر ،
وأرهما السمع . . . ومن بعيد جاء نعيق اليوم يبدد السكون المخيم على
المقبرة . . . وانتظر الولدان ، في صمت ، فترة بدت لها طويلا . . .

وفجأة قبض « توم » على ذراع صديقه ، وقال :

— أسمع ؟

— ماذا ؟

— صه ! ها هوذا الصوت مرة ثانية . ألم تسمعه ؟

— يا إلهي ! إنهم قادمون يا « توم » ! . . . آه ، ليتنا لم نأت !

— لا تخف ! . . . إذا بقينا صامتين ساكنين تماما فلن يحدث

لنا شيء !

وسمعا أصواتا مختلفة من بعيد ، ثم ظهرت ثلاثة أشباح ، وفي يد كل
منها مصباح قديم . وهمس « هوك » في أذن « توم » ، وهو يرتعد من
الخوف :

— يا إلهي ! لقد ضعت يا « توم » ، أستطيع الصلاة ؟

وبدأ « توم » يصلّي ، عندما همس « هكليري » مرة ثانية :

— اسكت !

— ماذا هناك يا « هوك » ؟



— إنهم بشر يا «توم». وأحدهم هو «موف بوترز»، لقد عرفته من صوته، يبدو أنه سكران كعادته دائماً.

— فعلا يا «هوك»، وقد عرفت ثانيهم، وهو «أنجون جو».

— هذا صحيح، ولكن ماذا يفعلون هنا؟

وكشّف الولدان عن الهمس، فقد اقترب الرجال الثلاثة، حتى وصلوا إلى القبر، ووقفوا على بعد خطوات من مخبأ الولدين؛

وكان ثالثهم هو الذي يحمل المصباح، وقد كشف الضوء عن وجهه فظهر أنه الطبيب الشاب «روبنسون»!

وقال الطبيب : « ها هو ذا القبر ! »

فوضع « بوتر » و « أنجون » النِّقالة التي كانا يحملانها على الأرض ،
وبدأ يفتحان القبر . . . ووضع الدكتور المصباح في مقدمة القبر ، ثم
جلس ، وظهره ناحية الأشجار التي اختبأ خلفها « توم » و « هكلبيرى » ،
وكان قريباً من الولدين بحيث يستطيعان لمسه إذا أرادا !

وأخذ « توم » و « هوك » يراقبان ما يحدث أمامهما ، وبدأ واضحاً
أن الدكتور « روبنسون » قد استأجر « بوتر » و « أنجون » ليقوما بإخراج
الجثة ليشترحها الدكتور كما كان يحدث في ذلك العهد . . . فقد كان
أهالى الموتى يرفضون تشريحهم ، فكان الأطباء يضطرون إلى سرقة الموتى ،
لعمل دراساتهم !

وبعد أن انتهى « بوتر » و « أنجون » من عملهما ، أخرج « بوتر »
خنجره ليقطع به حبلاً ، وقال :
— الآن وقد فرغنا من العمل ، عليك أن تدفع خمسة دولارات
أخرى !

وانضم إليه « أنجون جو » قائلاً :

— بالضبط : خمسة دولارات كاملة !

فقال الطبيب :

— اسمعا ، لقد دفعت لكما أجركما مقدماً !

فردّ عليه « أنجون جو » وهو يقرب منه ، وكان الدكتور قد نهض

واقفاً :

– نعم ، بل فعلت ما هو أكثر من ذلك ؛ فنذ خمس سنوات طردتني من بيتكم عندما طلبت منك طعاماً آكله ، وسجنني والدك بتهمة التشرّد . هل تحسب أنني نسيت ؟ الآن نستطيع أن نصفى الحساب بيننا !

وكان يهدّد الطبيب ، ملوحاً بقبضته في وجهه ! . . . ولكن هذا ضربه فجأة ، فوقع على الأرض ، وأسرع « بوتر » فألثى بخنجره على الأرض ، وصاح :

– قف ، لا تضرب زميلي !

والتحم مع الطبيب في مشجرة حامية ، وهنا وثب « أنجون جو » ناهضاً على قدميه ، ثم التقط خنجر « بوتر » وراح يدور حول المتشاجرين ، منتظراً الفرصة ليضرب ضربه !

استمرت المعركة بين الطبيب و « بوتر » فترة من الوقت ، ثم استطاع الطبيب في النهاية أن يضرب « بوتر » ضربة قوية ، سقط على أثرها مغمى عليه . . . وفي اللحظة نفسها ضرب « أنجون جو » الطبيب بخنجر « بوتر » ، فسقط الطبيب . . . ميتاً !

وهنا أسرع « أنجون جو » بوضع الخنجر في يد « بوتر » ، ثم جلس في هدوء ، ينتظر . . .

ومضت لحظات ، أفاق « بوتير » بعدها من إغمائه ، وأخذ ينظر حوله في ذهول ، ثم قال :

— ماذا حدث يا « جو » ؟

فأجاب : « جو » في بساطة :

— ألا تعلم ماذا حدث ؟ . . . إنك قتلت الطيب يا « بوتير » !

وكأنما لم يصدق « بوتير » ما سمعه ، فأخذ يهزّ رأسه ويقول :

— أنا قتلت الطيب ؟ غير معقول يا « جو » ! إنني لم أمسك

خنجرًا في حياتي !

— إن إنكارك لا يفيد يا « بوتير » ، فهاهوذا الخنجر في يدك ، وهو

دليل كاف على أنك قتلته !

وأخذ « بوتير » يرتعش وهو يردد :

— يا إلهي ! . . ماذا فعلت ؟ إنني لم أقصد قتله مطلقًا ، قل لي

كيف حدث هذا يا « جو » ؟

وقال « جو » في هدوء :

— لا تقلق بالك ، إنك قتلته في حالة « دفاع عن النفس » !

فقال « بوتير » وهو يرتعد بشدة :

— إنني لا أذكر شيئًا ، فقد كنت مخمورًا !

واستمر يرتعد ويقول :

— إنني لم أمسك بخنجر من قبل يا « جو » ! قل لي إنك لن

تُفْشى سرّي . أتقسم لى على ذلك يا « جو » ؟
وركع المخلوق البائس على ركبتيه أمام القاتل الحقيقي ، وضمّ يديه
فى توسّل وضراعة . . .

فأجابه « أنجون جو » :

— كلا ، لن أبلغ أحداً بما حدث ، فقد كنت مضطراً إلى ذلك !

فصاح « بوتر » :

— آه ، يالك من ملاك يا « جو » ! سأدعوك طول حياتى !

وغلبه البكاء وأخذ يرتعش ، فقال له « جو » :

— لا وقت للبكاء الآن ، يجب أن نترك هذا المكان بسرعة ، وليسيّر

كلّ منا فى طريق مختلف !

ونهبض « بوتر » وخطا خطوات متعثرة فى أول الأمر ، ولكنها سرعان

ما تحولت إلى عدو سريع . أما « جو » فقد وقف فى مكانه بنظر إليه ،

وقال فى نفسه :

— إنه ذاهل عن كل شيء ، هلم يفطن إلى الخنجر الذى تركه خلفه ،

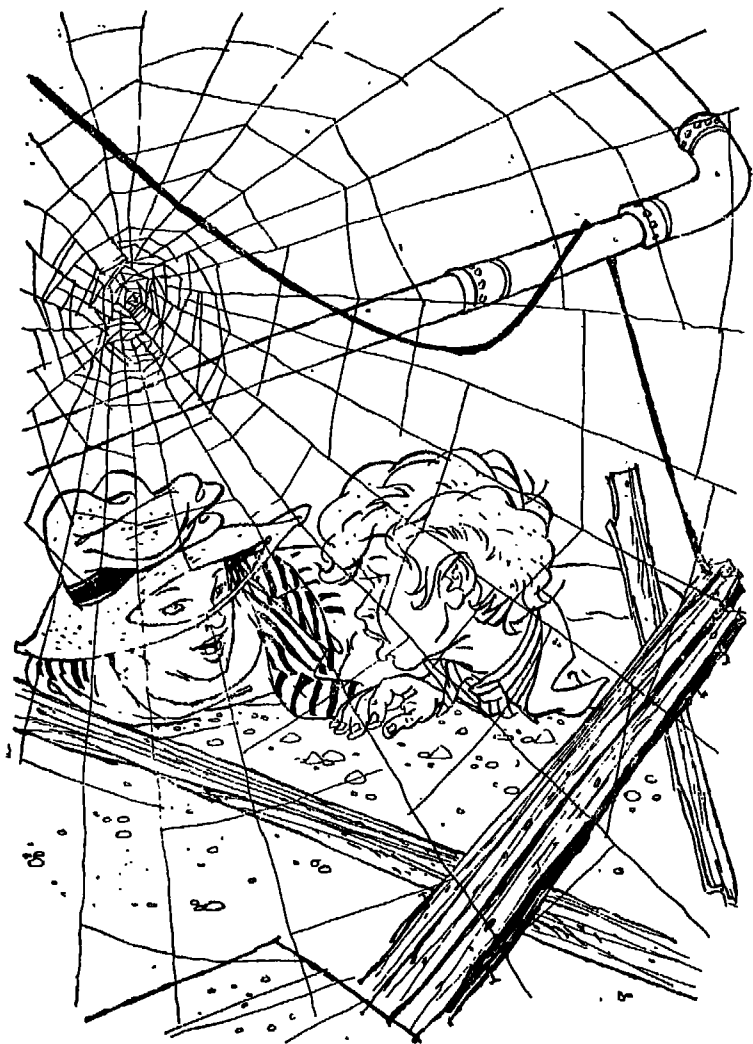
ولن يعود إليه ، وهو الدليل القوى على أنه مرتكب الحادث !





٥

وكان « توم » ، و « هوك » يراقبان ما يجري
أمامهما ، وقد استولى عليهما الفزع الشديد ! ...
وبعد أن خلت المقبرة من الرجلين أسرع الصبيان
يجريان . . . وعندما وصلا إلى أحد الأكواخ التي
تقع خارج القرية ، اندفعا إلى الداخل ، وارتميا
على الأرض ، وهما في أشد حالات التعب
والإجهاد . وبعد قليل همس « توم » في أذن
« هوك » :



— قل لى يا « هوك » ، ماذا يحدث بعد ذلك ؟
— إذا كان الدكتور « روبنسون » قد مات ، فلا بد من إعدام
القاتل !

— ومن يشهد على القاتل ؟ هل نشهد عليه نحن ؟
واحتار « توم » و « هوك » فيما يفعلانه بعد أن شاهدا « أنجون جو »
يقتل الطبيب ، ثم يوهم صديقه « بوتز » بأنه هو القاتل ! . . . وفى النهاية
اتفقا على عدم إفشاء السر ، وأحضر « توم » قطعة من الخشب كتب
عليها بالفحم : « نقسم نحن ” هوك فين “ ، و ” توم سوير “ على ألا نخبر
أحدًا بما حدث » . ووقع الصديقان على قطعة الخشب ، وألقياها بجوار
حائط . .

* * *

كانت أخبار الجريمة قد انتشرت فى القرية . وعند الظهر قال
العمدة إنه سيقبض على القاتل « موف بوتز » الذى وجدت سكينه
بجوار الطبيب المقتول !

وذهب « توم » و « هوك » إلى المقبرة مع الناس ليعرفا ما سيحدث . . .
ومرّ بعض الوقت ، ثم ظهر العمدة وهو يقبض على « بوتز » . وكان
« بوتز » يبدو شاحبًا منهاراً ، فى حين وقف القاتل الحقيقى « أنجون جو »
فى هدوء يرقب الموقف ، وكأنه لا يعنيه !

وقف « بوتز » يرتعش ، ثم غطّى وجهه بيديه وبكى ، وأخذ يصيح :

– أقسم لكم أنني لم أقتله يا أصدقائي ، أقسم بشرفي ، صدقوني أنا لم

أقتله !

ورفع « بوتز » وجهه وأخذ ينظر إلى من حوله في يأس ، فلما رأى

« أنجون جو » صاح موجهاً الكلام إليه :

– « أنجون » ، قل لهم الحقيقة ، قل لهم إنني لم أقتله !

وانتظر « نوم » و « هوك » أن يقول « أنجون » الحقيقة ، ولكنه ظل

صامتاً ، فلما جاء وقت التحقيق أكد أن « موف بوتز » هو القاتل !

وأحس « نوم » بتأنيب الضمير ، لأنه يعرف الحقيقة ولم يقلها . . .

ومرت فترة طويلة وهو لا ينام . وأخيراً هدأت حالته وعاد إلى المدرسة .

كان « نوم » يشعر بالسعادة وهو ذاهب إلى المدرسة لأنه سيقابل صديقه

« بيكي » ، ولكن سعادته انقلبت إلى حزن عندما وجدها متغيبية ، ومرت

الأيام بدون أن تعود « بيكي » .

وذات يوم شاهدها قادمة ، فأحس بالفرح يغمره ، وأخذ يجرى

ويصفتق ويصيح ، ويطارد الأولاد كأنه أحد الهنود الحمر ، ويقفز على

السور ويقف على رأسه ، ويمشي على يديه . . !

واقرب « نوم » من « بيكي » وهو يواصل ألعابه البهلوانية ، ثم

خطف قبعة أحد الأولاد ، ورمى بها على سطح المدرسة ، واقتحم صفوف

مجموعة من تلاميذ المدرسة ، وسقط بالقرب من « بيكي » . . . فاستدارت

مبتعدة عنه ، وسمعتها تقول :

— إن بعض الناس يظنون أنهم ظرفاء ، وبيالغون في إظهار ظرفهم !

واحمرّ وجه « توم » خجلاً ، وأحس بالألم يغمز نفسه ، فسار في طريقه حزيناً مهموماً . . . حتى التقى « بجو هاربر » الذي كان حزيناً أيضاً . ومشى الولدان يتحدثان ، فقال « جو » إنه يفكر في أن يذهب إلى مغارة مهجورة ، ويعيش فيها كما يعيش الناسك على الماء والخبز الجاف ! . . . ولكن « توم » أكد له أن في الدنيا مباحج أخرى ، وأن من الأفضل أن يقوما برحلة طويلة بعيداً عن القرية ، يتمتعان فيها بمشاهدة الطبيعة . ويعيشان بعيداً عن الأحزان . ووافق « جو » على فكرة « توم » . . .

وعلى بعد ثلاثة أميال من قرية « سانت بتسبرج » — حيث كانا يعيشان — وفي مكان يتسع فيه نهر « المسيسيبي » ، كانت هناك جزيرة طويلة لا يسكنها أحد ، وتغطّيها الأشجار ، وقد وقع اختيار الصديقين على أن يرحلا إلى الجزيرة ويعيشا فيها . وفكر الولدان في أن يضمّما إليهما « هوك فين » ، فلما عرضا عليه الفكرة وافق في الحال . . . واتفق الثلاثة على أن يلتقوا عند المساء ، وأن يجهّز كل منهم أدوات لصيد السمك ، وكل ما يستطيع الحصول عليه من طعام .

وعند المساء ذهب « توم » إلى المكان المحدّد ، وهو بقعة خالية خارج القرية ، حيث كان يوجد « طوف » طويل من الخشب ، قرروا الاستيلاء

عليه والإبحار به إلى الجزيرة .

وقف « توم » يحدّق في الظلام ، وهو يحمل طعامه وبعض الأشياء
التافهة التي يحبّها ، وبعد فترة أطلق صغيراً رقيقاً واضحاً ، وجاء الردّ
من بعيد ، وسمع من يسأله :

— من هناك ؟

فأجاب « توم » :

— « توم سوير » . من أنتما ؟

— « هوك فن » ، اليد الحمراء .

— « جو هاربر » ، مرعب البحار .

وكانت هذه هي الأسماء الثلاثة التي اختارها الأولاد ليطلقوها على
أنفسهم في رحلتهم البحرية . وعندما وقف الثلاثة معاً ارتفع صوتهم بقسم
الإخلاص وهو :

— الحرية !

ركب الأصدقاء الثلاثة « الطوف » الخشبي ، وتولى « توم » القيادة ،
وأمسك « هوكي » بالمجداف الأمامي و « جو » بالمجداف الخلفي . ووقف
« توم » وسط الطوف يصدر أوامره ، وقد بدا عليه الجهد والاهتمام . . . وفي
وسط « الطوف » تكوّمت الأشياء التي أتى بها الأصدقاء . وكان « جو »
(مرعب البحار) قد أحضر قطعة لحم ، أما « هوكي » (اليد الحمراء)
فقد أحضر مقلاة وبعض الأشياء الصغيرة .

وفي الساعة الثانية من صباح اليوم التالى رسا « الطوف » على الشاطئ الرملى لجزيرة (جاكون) ، التى اختاروها مقرّاً لمعسكرهم ، فوضعوا شراعاً فوق المؤونة ليحلب الهواء حتى لا تفسد ، وأشعلوا ناراً وضعوا عليها المقلاة وبها قطعة اللحم ، وأعدوا عشاءهم .

وقال « جو » بعد أن أكلوا آخر قطعة من اللحم :

— أليس هذا شيئاً لطيفاً ؟ إننا نشبه القراصنة الآن !

ووافق الصديقان بحماسة على هذه الصفة ، وقال « هوك » :

— ولكن ماذا يعمل القراصنة ؟

وأجاب « توم » :

— إن القراصنة يهاجمون السفن ، ويستولون على ما فيها من أموال ،

ثم يدفنون هذه الأموال فى جزيرة بعيدة تملؤها الأشباح !

وقال « جو » وقد أخذته الحماسة :

— وهم يرتدون أفخر الثياب ، ويتحلّون بالذهب والفضة والألماس !

فسأله « هوكى » :

— من ؟

وأجاب « جو » فى انزعاج :

— القراصنة طبعاً !

ونظر « هوكى » إلى ثيابه المهلهلة وقال :

— أظن أننى لا أرتدى من الملابس ما يليق بقرصان ، ولكن على

كل حال لا أملك غيرها .

وأسرع « توم » و « جو » يطمئنان « هوكى » إلى أنه سيرتدى الملابس الفاخرة يوماً ما ، ولا بأس بثيابه هذه الآن . . . وبدأت أحاديثهم تقل شيئاً فشيئاً ، وأخذ النوم يتسلل إلى جفونهم ، ولكنهم لم ينسوا أن يرتلوا الصلاة . فقد خشوا أن تنتقم منهم السماء فى حياتهم الجديدة ، إذا أهملوا الواجبات الدينية .





٦

وفي الصباح كان « توم » أول من استيقظ ،
وهزّ صديقيه الآخرين فاستيقظا ، وأخذوا جميعاً
يصيحون صيحات الفرح ، وبعد دقيقة كانوا
قد خلعوا ملابسهم وقفزوا إلى الماء بالقرب من
الشاطئ ، وراحوا يعبثون في الماء . . . ووجدوا أن
طوفهم الخشبي قد ابتعد عن مكانه أثناء الليل .

وخرج الأصدقاء الثلاثة من الماء وهم في
غاية الجوع ، وسرعان ما أشعلوا النار ،

واصطادوا بعض السمك وشووه . . . وبعد أن أكلوا وشبعوا استلقوا في الظل .

. . . وبعد راحة قصيرة قام القراصنة الثلاثة بجولة استكشافية في الجزيرة ، ثم نزلوا مرة أخرى إلى الماء . وعادوا إلى معسكرهم عند الظهر وهم يشعرون بالجوع والتعب ، فأكلوا طعاماً بارداً . واستلقوا في الظل يتبادلون الحديث . . . وبعد قليل أخذ الحديث يقل ويتباعد . . . ثم توقف تماماً . وشعر الثلاثة بالوحدة تثقل عليهم وسط السكون المطبق على الجزيرة المهجورة .

وبدأ الحنين إلى بيوتهم يتسلل إلى قلوبهم ، حتى « هوكى » بدأ يحلم ببراميله الفارغة ، والأرصفة التي تعود أن يقضى عليها أيامه ولياليه . ولكن أحداً منهم لم يجسر على التعبير عن مشاعره ، حتى لا يتهم بالضعف !

وانقضت مدة طويلة ، ثم بدأ الأولاد يسمعون صوتاً غريباً من بعيد ، وزاد الصوت وضوحاً . . . فصاح « جو » :

— ما هذا ؟

فأجاب « هوكى » :

— يبدو أنه صوت الرعد .

وأنصتوا فترة ، ثم سمعوا الصوت من جديد . . . فقال « هوكى » :

— ليس هذا صوت الرعد بكل تأكيد !

فقال « توم » :

— هياً إلى الشاطىء لئرى ماذا هناك .

وأسرع الثلاثة إلى الشاطىء ، وأطلتوا على البحر ، فرأوا قارباً بخاريئاً على بعد ميل من الجزيرة ، وبدا ظهر القارب مزدحمأ بالركاب ، وبعد قليل انطلقت سحابة من الدخان الأبيض من جانب الزورق ، وتكرّر الصوت الذى يشبه الرعد . . . فصاح « توم » :

— لقد عرفت السبب ، لا بد أن شخصأ يغرق !

فقال « هوكى » :

— فعلا ، لقد فعلوا هذا فى العام الماضى عندما غرق « بيل تيرز » فقد أطلقوا قنبلة مدفع على سطح الماء ، فطفا الغريق فوق الماء .

وقال « جو » :

— كم أودّ أن أكون هناك لأعرف من الغريق .

وانتظر الأولاد فترة ، بدون أن يتبادلوا الكلام ، وفجأة صاح « توم » :

— لقد عرفت من الغريق ، إننا نحن الغرقى يا أولاد ، فهم فى القرية

يظنون أننا غرقنا ، وهم يبحثون عن جثتنا !

واستمر القارب فترة من الوقت يطلق مدافعه ، ولما حل وقت الغروب اختفى

الزورق ، وعاد الأولاد إلى معسكرهم ، فاصطادوا سمكأ ، وطبخوا عشاءهم

وأكلوه ، ثم راحوا يفكرون فيما يقال عنهم فى البلدة ، وماذا يفعل أهلهم ؟

* * *



وعندما بدأ الظلام يخيم على البحيرة ، كفت الثلاثة عن الكلام ، وأخذوا يحدقون في النار الموقدة . وبدأ واضحاً أن حماسة الثلاثة قد خمدت ، ولم يستطع « توم » و « جو » أن يمنعا نفسيهما من التفكير في أسرتيهما . وبدأ الولدان يشعران بالقلق والحزن ، أما « هوكى » فسرعان ما استسلم للنوم .

وظل « توم » و « جو » يتحدثان برهة ، ثم نام « جو » وظل « توم » مستيقظاً . وبعد فترة من الوقت قام « توم » بخفّة ، فأحضر ورقة شجرة كتب عليها كلاماً ، وتركها في قبعة « جو » ، ووضع فيها أيضاً أشياءه الثمينة - قطعة طباشير ، وكرة مطاط ، وثلاث صفاير - ثم

انطلق إلى الشاطئ فحاض في المياه متجهًا إلى شاطئ بلدتهم . . .
أخذ «توم» يسبح حتى وصل إلى مكان منخفض ، ف جذب نفسه
إلى أعلى ، ووجد نفسه على الشاطئ ، فجرى والماء يقطر من ملابسه .
وبعد الساعة العاشرة بقليل كان قد وصل إلى السور الخلفي لمنزل خالته
«بولي» ، فتسلق السور ، واقترب من البيت ، وأطل من نافذة غرفة
الجلوس . . .

رأى الحالة «بولي» جالسة ، ومعها بنت خالته «ماري» ، وأخوه
«سدي» ، والدة «جو هاربر» . وكان الجميع جالسين بجوار الفراش .
فذهب «توم» إلى الباب ، وأخذ يزيع «المزلاج» في خفة ، وفتح
الباب في حذر شديد — بقدر ما يستطيع الدخول ، زحفًا على ركبتيه ،
من غير أن يلحظ أحد — ودخل .

وصاحت الحالة «بولي» :

— ما الذي يجعل شعلة القنديل تهتز هكذا ؟ أعتقد أن الباب
مفتوح ! . . . اذهب وأقفله يا «سدي» !

وكان «توم» قد اختفى تحت السرير في الوقت المناسب !

وقالت الحالة لوالدة «جو» :

— كما قلت لك ، لم يكن «توم» شريرًا ، ولكنه كان شقيماً ، فيه

شيطنة وعفرتة لا أكثر ، ولكنه كان أطيّب ولد في الدنيا !

ثم استسلمت للبكاء !

وقالت والدة « جو » :

— هكذا كان ابني « جو » ، كثير الشيطنة ، ولكنه كان طيباً محبباً
للآخرين ، وكم أنا حزينة لأنني كنت أحياناً أعامله بقسوة ، مع أنه كان
مظلوماً !

وبدأت السيدة « هاربر » تبكي بصوت عال . . .

وقال « سدى » :

— لقد أصبح « توم » فجأة أطيب ولد ! . . على أى حال أرجو له
كل خير !

فصاحت الخالة « بولى » :

— لا تقل كلمة واحدة ضد « توم » ، ولا تقلق نفسك من أجله ،
وليحفظه الله بعنايته . أيتها السيدة « هاربر » ، لا أعرف كيف أعيش بدونه !
لقد كان يملأ على البيت ، مع أنه كان يعدّ بنى أحياناً بعفرتته !
فقالت السيدة « هاربر » ، وكأنها تواسى نفسها وتواسى الخالة
« بولى » :

— الرب أعطى ، والرب أخذ . . . آه ، لكننى لا أستطيع تحمل
فراقه . . . السبت الماضى أطلت حصاة ، أصابت أنى ، فضربته بقسوة !
ساعحنى الله !

فقالت الخالة « بولى » :

— إننى أشعر بما تشعرين به أيتها السيدة « هاربر » ! فأمس

فقط ، ملاً توم فم القطة بدواء مر ، فكادت القطة المسكينة تحطم كل شىء
فى البيت ، وليساعنى الله ، فقد ضربت الولد المسكين على رأسه .
مسكين ! مسكين ! يرحمه الله !

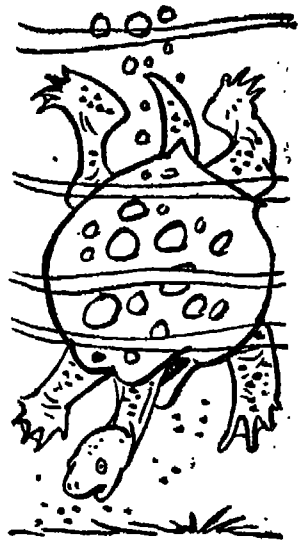
لم تتحملّ الحالة العجوز هذه الذكريات الأليمة فانهارت ،
واستطاع « توم » أن يسمع « مارى » وهى تبكى ، وتذكره بشىء من الخير ،
وشعر برغبة قوية فى أن يجرى ويطوق خالته بذراعيه من شدة الفرحه ،
ولكنه قاوم هذه الرغبة ، وظلّ ساكناً حيث هو ، تحت السرير . وظلّ
يصغى حتى عرف كل شىء عن حكاية غرقه وهو وزميليه ، وعلم أنه إذا
لم تظهر الجثث حتى يوم الأحد فستقام جنازة على أرواحهم فى ذلك
اليوم !

واستأذنت السيدة « هاربر » ، وغادرت البيت وهى لا تزال تبكى ...
أما « سدى » و « مارى » فقد ذهبا إلى الفراش . ثم ركعت الحالة « بولى »
وصلّت طويلاً طويلاً من أجل « توم » ، وهى تبكى .

واضطر « توم » أن يلزم السكون فترة طويلة ، وهو فى مخبئه تحت
السرير ، حتى بعد أن أوت الحالة إلى فراشها ، لأنها ظلت تتقلب على
الفراش وهى تبكى ، وأخيراً استغرقت فى نوم عميق ، فتسلّل « توم » من
تحت السرير ووقف ينظر إليها ، وقلبه ممتلئ بالشفقة عليها ، وأخرج
ورقة الشجر التى كانت معه وكتب عليها « نحن فى رحلة » ، ووضعها

بجوار القنديل . ولكن خاطراً خطره . فنلكأ قليلا وهو يفكر . وبعد
دقيقة من التفكير عاد فأخذ الورقة ووضعها في جيبه . وتساءل إلى
الخارج !





٧

تلمس « توم » طريقه إلى القارب الذى يعبر به
الأهالى النهر ، وكان يعلم أن الحارس سيكون
مستغرقاً فى النوم . . . وفى جرأة ركب القارب
وقاده فى اتجاه الجزيرة ، وعلى بعد ميل من
الشاطئ ترك القارب وسبح المسافة الباقية إلى الغابة
التي يأوى إليها زميلاه . وكانت الشمس قد طلعت
عندما اقترب من الخيم ، وسمع « جو » يقول :

— أؤكد لك يا « هوكى » أن « توم »

سيعود ، لا بد أنه ذهب إلى البلدة لأمر ما .

فقال « هوكى » :

— لا بأس ، المهم أن الأشياء التى تركها ستكون ملكنا ، أليس كذلك ؟

فرد عليه « جو » قائلاً :

— تقريباً ، وهو يقول فى الورقة التى تركها لنا إن الأشياء تصبح

ملكنا إن لم يعد قبل الإفطار ، فلننتظر قليلاً .

وصاح « توم » ، وهو يدخل الخيم :

— هاأنذا !

وعند الظهر ذهب الأولاد إلى الشاطئ للبحث عن بيض السلاحف

الذى تخفيه فى الرمل ، ووجدوا كمية كبيرة منه ، فتناولوا عشاء رائعاً من



البيض المقلى ، وتناولوا إفطارهم من البيض نفسه في صباح اليوم التالي .

* * *

وبعد الإفطار ذهب الثلاثة يلعبون على الشاطئ ، ويطارد بعضهم بعضاً ، ويتقاذفون بملابسهم . . . ثم ألقوا بأنفسهم في المياه وهم يتصايحون . وبعد ذلك تصوروا أنهم يشبهون الهنود الحمر ، بعد أن احمرت جلودهم من الشمس ، فرسموا دائرة على الرمل ، وأخذوا يرقصون حولها رقصة الهنود ، ثم لعبوا من جديد ألعاباً مختلفة . . . حتى أحسوا بالتعب ، فجلسوا على الرمال ساكنين ، وقد عاودهم الشعور بالوحدة ، ولا سيما « جو » الذى أصبح يحن إلى البيت !

وضعت روح « هوكى » المعنوية أيضاً ، ولم يكن « توم » أقلّ من زميله شوقاً وحنيناً إلى البيت ، لكنه اجتهد لإخفاء مشاعره ، وأخذ يفكر في طريقة تعيد الحماسة إلى صديقيه ، فقرر أن يبوح لهما بسرّه الكبير . وكيف أن القرية كلها حزينة عليهم . . . ولكنه في النهاية لم يقل شيئاً ، بل قال وهو يتظاهر بالفرح :

— أراهن أن هذه الجزيرة كانت مأوى للقراصنة في وقت من الأوقات . لا بدّ لنا من استكشافها مرة ثانية ، فقد نعر على كنز مخبوء فيها ، هه ، ما رأيكما ؟

ولم يجب أحد ! . . . وحاول « توم » إغراءهما بهذا الأسلوب مرتين ، ولكنه أخفق . . . أما « جو » فأخذ ينكت الرمل بعضاً ، وقد

بدا عليه الحزن ، وأخيراً قال :

— يجب أن ننهي هذه المغامرة ، أنا أريد العودة إلى البيت ، فنحن في عزلة تامة في هذا المكان !

فحاول « توم » أن يقنع « جو » بالبقاء في الجزيرة ، قائلاً له :

— إنك لن تجد مكاناً تسبح فيه بحرية ، وتصطاد السمك ، كما

نفعل هنا !

فأجاب « جو » في كآبة :

— لا تهمني السباحة ، ولا صيد السمك . . . إنني أريد أن أعود

إلى البيت .

توم : أنت تريد العودة إلى أمك ، أيها الطفل المدلل !

جو : نعم ! أريد أن أرى أمي .

وقام « جو » متجهماً إلى الشاطئ ، بدون أن يودّع زميله . . .

ونفق قلب « توم » وهو يراه يرحل . . . ولما نظر إلى « هوكي » وجدته

ينظر إلى الأرض ، ثم قال « هوكي » :

— أنا أيضاً أريد العودة يا « توم » ، ومن الأفضل أن تأتي أنت

أيضاً معنا ، فسوف تشعر بالوحدة إذا بقيت هنا !

فقال « توم » في عناد :

— لن أعود ، ولتذهب أنت أيضاً !

وأخذ « هوكي » يجمع ثيابه المبعثرة ، ثم خاض في الماء في اتجاه

« جو » . فى حين وقف « توم » ينظر فى أسى إلى الولدين وهما يتعدان ،
وكان يتمنى لو توقفا ، ولكنهما واصلا السير فى ببطء . . . وأحس « توم »
بعناده يلين ، وكبريائه تخونه ، فصاح خلف زميليه :

— انتظرا ! انتظرا ! عندى شىء أريد أن أقوله لكما !

توقف الولدان ، واستدارا ، فأسرع « توم » إليهما . . . فلما اقترب
منهما ، بدأ حديثه بصوت متعثر ، فقص عليهما مغامرته فى تلك الليلة
التي زار فيها القرية فى أثناء نومهما . . . وظل الولدان يستمعان إليه بدون
اكتراث . . . ولكن عندما قال لهما إن القرية كلها تبحث عنهم ، وإن
والدة « جو » كانت تبكى بحرقة ، استخفهما الفرح ، وأخذا يقفزان فى
الماء ، فقد أحسا أنهما أصبحا أبطالاً !





٨

وفي صباح يوم الأحد ، بدأ جرس كنيسة
(سانت بتسبرج) يرسل دقاته الحزينة ، وبدأ
القرويون يتجهون إلى الكنيسة ، وهم يتحدثون في
أسى عن حادث الأولاد الثلاثة الذين غرقوا ،
فقد كانت القرية كلها تعتقد أن « توم »
و « هوكى » و « جو » قد غرقوا !

وامتلأت الكنيسة بعدد كبير لم تشهده من
قبل ، ودخلت الحالة « بولى » تتبعها « ماري »

و «سدى» ، ثم دخلت أسرة «جو هاربر» ، وكلهم فى الملابس السوداء .

وألقى القسيس الصلاة بين التأوهات والدموع ، ثم أخذ يلتقى موعظة تحدث فيها عن الأولاد المفقودين ، وأخذ يعدّد صفاتهم الحميدة ، ويرسم صورة المستقبل الذى كان ينتظرهم . . . وزاد تأثر الحاضرين ، فاستسلموا للبكاء ، وبكى القسيس نفسه وهو فوق منبره .

وسمع الحاضرون أصواتاً تأتي من ناحية باب الكنيسة ، ولكن أحداً لم يلتفت إليها . . . ثم فتح الباب ، ورفع القسيس عينيه المملوءتين بالدموع ، ووقف ينظر أمامه وقد أصابته دهشة كبيرة ، ونظر واحد من الحاضرين إلى حيث نظر القسيس ، ثم تبعه الآخرون ، ثم وقف جميع الحاضرين مشدوهين ، فقد كان الأولاد الثلاثة «الميتون» يسرون فى ممشى الكنيسة ، وفى مقدمتهم «توم» ، يتبعه «جو» ثم «هوكى» يتعثر خجلاً فى ملابسه المهلهلة !

لم تتألك الحالة «بولى» نفسها ، فألقت بجسمها على «توم» ، وفعلت السيدة «هاربر» الشيء نفسه مع «جو» ، وتناثرت القبلات والدموع ، على حين وقف «هوكى» جانباً لا يعرف كيف يدارى خجله ، وقد أخذت تتجه إليه العيون : خالية من أى ترحيب !

وبدأ «هوكى» ينسحب فى هدوء ، ولكن «توم» لمح فأسرع إليه وأمسكه ، قائلاً لحالته :

– يا خالتي « بولي » ، هذا ليس من العدل في شيء ، لا بد أن
يرحب أحد « بهوكى » ، ويظهر سروره برؤيته وعودته !
– طبعاً ، طبعاً ، إننى مسرورة جداً لرؤية هذا الولد اليتيم
المسكين . . .

وغمرت الحالة الطيبة وجه الولد المسكين بقبلاتها ، مما زاد في
ارتياكه .

وفجأة صاح القسيس بأعلى صوته :

– صلُّوا شكراً لله على حسناته من أجلنا ☺
وانهمك الحاضرون جميعاً في الصلاة ، والتراتيل التى تعبر عن
الشكر والامتنان .

وكان « توم » ينظر حوله ، ويعترف – بينه وبين نفسه – أن هذه
اللحظات هى أروع لحظات حياته !
وعندما انتهى كل شيء ، وعاد « توم » مع خالته إلى البيت ،
قالت له الخالة :

– كيف طاوعك قلبك على أن تتركنى أتعذب يا « توم » ؟ يالك
من ولد قاس على خالته التى تحبك ! ؟
فأجاب « توم » ، فى لهجة من يعترف بذنبه :
– آسف جداً يا خالتي .

عندما عاد « توم » إلى المدرسة بعد مغامرة الجزيرة، أحس أنه أصبح مشهوراً ، حتى إنه لم يهتم كثيراً بمحاولة « بيكي » لتفت نظره إليها . وقد غاظت هذه الشهرة زميله « ألفريد تمبل » ، فدخل الفصل في غياب التلاميذ ، وسكب الحبر على كتاب « توم » ، ليعاقبه المدرس ! . . . وبالمصادفة شاهدت « بيكي » « ألفريد » وهو يقوم بهذه المؤامرة ، ولكنها لم تبلغ « توم » ، ثم دخلت هي الفصل وأمسكت بكتاب المدرس ، وأخذت تقلب فيه . وبينما هي مستغرقة في التفرج على الصور دخل « توم » ، ففوجئت « بيكي » ، وحاولت إخفاء الكتاب ، ولسوء حظها تمزقت إحدى صفحاته ، فأسرعت تضع الكتاب في درج المدرس وهي غاضبة ، ثم انفجرت باكية وصاحت في « توم » :

— طبعاً سوف تقول للمدرس ، ولكن هذا لا يهمنى ، لا يهمنى !
ثم انطلقت خارجة ، وتركت « توم » ذاهلاً .

وعندما بدأت الحصة ، شاهد المدرس كتاب « توم » الملوّث بالحبر . وبرغم أن « توم » أنكر أنه لوث الكتاب فإن المدرس عاقبه بشدة ، ولم تتدخل « بيكي » لإنقاذه ، فقد كانت تظن أنه سيقول للمدرس إنها مزقت كتابه . وعندما اكتشف المدرس هذا التمزيق ، أخذ يسأل التلاميذ واحداً واحداً فأنكروا جميعاً ، ثم بدأ يسأل التلميذات ، فأنكرن



بدورهن ، حتى وقف المدرس أمام « بيكى » وقال :
— يا « بيكى » تاتشر : هل أنت التى مزقت الكتاب ؟
وفى هذه اللحظة قفز « توم » واقفصاً وصاح :
— بل أنا الذى مزقته !

وتلقى « توم » « علقه » أخرى ، عن عمل آخر لم يرتكبه ! ... على
حين أخذت « بيكى » تنظر إليه فى شكر وامتنان !

* * *

ومضت أيام . . . وتحددت جلسة لمحاكمة « موف بوتير » بتهمة
قتل الدكتور « روبنسون » . وأحس « توم » بضميره يؤنبه ، فأسرع
لمقابلة « هوكى » وقال له :

— إننى أعتقد أن « موف » سيشتق ، وأنا أشعر بالأسف عليه ،
فهو رجل طيب ، وكثيراً ما كان يصلح طائراتى الورق ، ويثبت لى
الصنارة فى الخيط .

فقال « هوكى » بدوره :

— لقد أعطانى « موف » مرة نصف سمكة ، مع أن السمكة كلها لم
تكن تكفى طعامه !

وبعد حديث طويل ، ذهب الولدان إلى السجن الذى كان « موف
بوتير » محبوساً فيه ، وألقيا إليه من النافذة الضيقة بعض علب السجائر
وعيدان الكبريت . وعندما شاهدهما « بوتير » صاح :

— يا لكما من ولدين طيبين ! . بل أنما أطيب من في هذا البلد !
تعاليا أسلم عليكمما من خلال القضبان ، إن أيديكما صغيرة وضعيفة ،
ولكنها ساعدت « موف بوتير » بقدر ما تستطيع !

وفي اليوم التالي جاء أهل البلدة كلهم ليشهدوا المحاكمة . وأحضر
« بوتير » إلى قاعة المحكمة شاحب الوجه ، يائساً ، وفي يديه القيود
الحديدية . وأجلس في مكان ظاهر ليراها الحاضرون ، وجاء « أنجون جو »
القاتل الحقيقي ، وجلس في الصف الأمامي ، في هدوء بالغ !

وبدأت المحكمة بسماع الشهود ، الذين قالوا إنهم كانوا يشاهدون
الخنجر الذي قتل به الطبيب مع « موف بوتير » ، وإنهم شاهدوا « بوتير »
يغتسل في ساعة مبكرة من صباح يوم الجريمة !

ولم يتكلم محامى « بوتير » مطلقاً ، وكأنه كان يائساً من إنقاذ المتهم !
ثم وقف ممثل النيابة ، وطالب بإعدام المتهم ، استناداً إلى القرائن
الموجودة ضده ! . . . وبدأ أن مصير « بوتير » أصبح منتهياً ، وأنه
سيشنتق لامحالة . . ! فتأثر الرجال ، وبكت النساء . . . وفجأة وقف
محامى « بوتير » وقال لكاتب المحكمة :

— أرجو أن تستدعى « توم سوير » للشهادة !
وبدت الدهشة على وجوه الجميع ، فما دخل « توم » في هذه
الجريمة ؟

وعندما جلس « توم » في مكان الشاهد ، سأله المحامى :

– أين كنت يا «توماس سوير» في يوم ١٧ يونية ، حوالى منتصف الليل ؟

ونظر «توم» إلى وجه «بوتر» اليائس ، ثم إلى وجه «أنجون جو» القاسى ، وتمالك نفسه وقال :

– فى المقبرة !

ونظر «أنجون جو» نظرة صارمة إلى «توم» ، وعاد القاضى يسأل «توم» :

القاضى : هل كنت قريباً من قبر «هورى وليامز» ؟

توم : نعم ياسيدى .

القاضى : ارفع صوتك قليلا . إلى أى حد كنت قريباً من

القبر ؟

توم : قريباً منه كما أنا قريب منك .

القاضى : هل كنت مختبئاً ؟

توم : نعم كنت مختبئاً !

القاضى : أين ؟

توم : خلف شجيرات على حافة القبر .

وأفلتت صيحة خافتة من «أنجون جو» . . . واستمر القاضى يسأل

«توم» :

القاضى : هل كان معك أحد ؟

توم : نعم ، يا سيدى ، كنت مع . . .

القاضى : انتظر ، لا داعى لذكر اسم زميلك ، سنحضره فى الوقت المناسب . هل كنت تحمل شيئاً معك هناك ؟

وتردّد « توم » قليلا ، وبدت عليه الحيرة .

القاضى : تكلم يا بنى . ماذا كان معك هناك ؟

توم : قطعة ، قطعة مينة فقط !

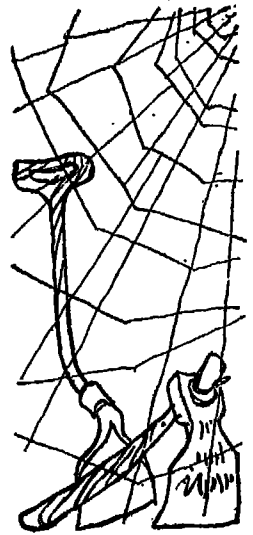
وتعالى الضحكات من الحاضرين .

— سنحضر هيكلك هذه القطعة . والآن يا بنى ، قل لنا كل ما حدث أمامك ، لا تترك شيئاً ، ولا تخف !

وبدأ توم يسرد ما حدث . . . فأنصت الجميع ، ولم يعد يسمع إلا صوت « توم » وهو يتحدث ، والجميع ينصتون باهتمام ، حتى لانفوتهم كلمة مما يقوله ! . . . وبلغ التوتر أقصاه عند ما قال « توم » :

— . . . وعندما رفع الدكتور اللوحة الخشبية وسقط « موف بوتز » ، قفز « أنجون جو » فى يده الخنجر ، و . . .

وقبل أن يكمل « توم » جملته — وفى سرعة البرق — قفز « أنجون جو » من نافذة المحكمة ، شاقاً طريقه وسط الذين وقفوا لمنعهم من الفرار ، واختفى فى ملح البصر !



٩

وأصبح «توم» بطلا في نظر القرية ،
وأصبحت أيامه أياماً مجيدة ! . . . ولكن لياليه
كانت مفرقة ، فقد ملأ « أنجون جو » أحلامه ،
وعانى « هوكي » المسكين من الرعب مثلما عانى
« توم » . وأعلنت السلطات عن مكافأة للقبض
على « أنجون جو » . . . وبحث عنه في كل
مكان ، ولكن بدون فائدة !

وتأكد « توم » أنه لن يعرف الطمأنينة حتى

يقبض على « أنجون جو » ! . . . ولكن الأيام استطاعت أن تعيد الهدوء إلى نفسه ، تدريجاً . وبعد أسابيع عاد إلى حالته الطبيعية .

والتقى « توم » ، « بهوكى » ذات يوم ، وقرر الاثنان البحث عن كنز مدفون كانت القرية تتحدث عنه ، ولكن أحداً لم يكن يعرف مكانه بالضبط . وأخذ الصديقان يبحثان عنه في كل مكان ، يوماً بعد يوم ، وليلة بعد ليلة ، ولكن من غير نتيجة . . . وأخيراً قرر « توم » و « هوكى » أن يبحثا عنه في البيت المسكون ، وهو بيت مهجور يظن أهل القرية أن الأرواح الشريرة تعيش فيه !

وبعد ظهر أول أيام الأسبوع ، وصل الولدان إلى هذا البيت الغريب ، ومعهما فأس ومجرفة . وكان السكون الغامض الخيف يحيط بالبيت ، فأخذا ينظران داخله في حذر ، فرأيا الأعشاب تنمو على أرضه المهجورة المتربة ، وشاهدا في الداخل مدفأة قديمة ، ونوافذ عارية ، وسلام متهدمة ، وكان نسيج العنكبوت يغطي كل شيء .

دخل الولدان البيت في شيء من الخوف ، وأخذا يتلفتان حولهما ، ثم ازدادت جراتهما ، فألقيا أدواتهما في أحد الأركان ، وصعدا السلم . وجد الصديقان الطابق الأعلى متهدماً كالطابق الأسفل تماماً . ورأيا دولاباً كأنه يحوى سرا ، لكن عندما فتشاه لم يجدا فيه شيئاً . وكانا على وشك أن ينزلا ، ليبدأ الحفر ، عندما همس « توم » :

— هس !

فسأله « هوكى » فى همس :

— ماذا ؟

— اسكت أيها الغبى ، إنى أسمع صوت أقدام تقترب من الباب !
وتمدّد الولدان على الأرض ، وعيونهما تنظر من خلال الثقوب ، وقد
استولى عليهما الخوف . ودخل رجلان ، كان أحدهما إسبانياً يعرفه
الولدان ، وهو رجل عرف عنه أنه أصم أبكم ، وكان قد تردّد مرتين على
القرية فى المدة الأخيرة ، له لحية بيضاء طويلة ، ويتدلّى شعره من تحت



قبعته ، وقد وضع على إحدى عينيه عصابة سوداء . أما الرجل الآخر فكان له مظهر رجل شرير ، وهو يرتدى ملابس ممزقة ، ولم يكن الولدان يعرفانه . وجلس الرجلان على الأرض في مواجهة الباب .

وقال الرجل الممزق الثياب :

— كلا ، لا أحب هذا ، فإنه عمل خطر !

وصاح الإسباني الذي كان معروفًا بالصمم والبكم ، مما أدهش

الولدين :

— يالك من جبان !

وعرف الولدان من صوت الإسباني الذي كان يتظاهر بالصمم والبكم أنه هو نفسه « أنجون جو » — القاتل الهارب ! — فدبّ الخوف والفرع في قلوبهما !

وأخرج الرجلان شيئًا من الطعام ، وانهمكا في الأكل . وبعد فترة طويلة من الصمت ، قال « أنجون جو » :

— اسمع ، عد إلى أعلى النهر ، وانتظرنى هناك ، وستقوم بالعمل الخطر بعد أن أقوم بجولة استطلاعية ، وأفكر في الأمر مرة أخرى .
وبعدها نهرب إلى « تكساس » .

وفكر قليلا ، ثم استطرد يقول :

— ماذا نفعل بالصرّة التي معنا ؟

وأجابه الآخر :

– لا أعرف ، نتركها هنا كما نفعل دائماً ، لا داعى لأخذها معنا حين نذهب إلى الجنوب ، فليس فيها غير ٦٥٠ قطعة من الفضة .

وقال « أنجون جو » :

– هذا صحيح ، ولكنها أحسن من لا شىء . هيا ندفنها ، هيا نحفر حفرة عميقة لندفنها فيها !

وقال الآخر :

– فكرة صائبة .

وعبر الرجل الحجرة ، وانحنى إلى الأرض ، وخلع بضع بلاطات ، وأخرج حقيبة كانت تسمع منها شخشة مثل شخشة النقود الفضية . وأخرج منها عشرين أو ثلاثين دولاراً لنفسه ، ومثلها « لأنجون جو » ، ثم سلم الحقيبة « لأنجون » الذى كان راكعاً على ركبتيه فى الركن الآخر ، وهو يحفر حفرة لدفن الحقيبة .

ونسى الولدان خرفهما بعض الوقت ، وهما يراقبان ما يجرى أمامهما ، وكانا يراقبان كل حركة فى اهتمام وشغف – فقد ابتسم لهما الحظ فجأة ، وساق لهما ثروة تقدر بمائة دولار ، وهى تكفى لجعل اثنى عشر ولداً من الأغنياء – وأخذ الولدان يتبادلان نظرات ذات معنى ، من وقت لآخر . وكانت كل نظرة تقول :

– ألسنت سعيداً بوجودنا هنا الآن ؟

واصطدمت سكين « أنجون » فى شىء صلب ، فقال :

— ما هذا ؟ . . إنه صندوق ! . . هيا نرفعه معاً لنرى ما فيه .

انتظر لحظة . لقد وقعت على فتحة في الصندوق !

ومد يده من خلال الفتحة ، ثم أخرجها وصاح :

— ياه ! إنه ممتلئ بالنقود !

وفحص الرجلان النقود التي ملأت يدي « أنجون » ، فإذا هي من

الذهب !

وقال زميل « أنجون جو » :

— هيا نخرجه بسرعة ، لقد رأيت مجرفة قديمة بين الأعشاب في

الركن . لقد رأيتها منذ دقيقة !

وجرى الرجل فأحضر فأس الولدين ومجرفتهما ، وتناول « أنجون »

الفأس ، وفحصها ، ثم هز رأسه ، وتمتم بشيء ، ثم بدأ العمل . وبعد

قليل أزاح الرجلان التراب من فوق الصندوق ، ولم يكن صندوقاً كبيراً ،

وكانت تحيط به أطواق من الصلب البالي .

وصاح « أنجون جو » :

— في الصندوق آلاف الدولارات يا « بارد » !

ثم أردف قائلاً :

— كانوا يقولون دائماً إن عصابة « موريل » زارت هذا المكان في

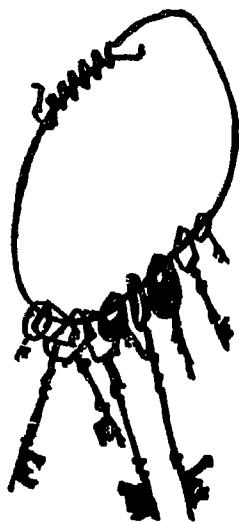
صيف أحد السنين ، ولا بد أنها تركت هذا الصندوق هنا !

فقال له « بارد » بارتياح :

- فى هذه الحالة لا داعى لأن نقوم بالمغامرة التى اتفقنا عليها !
فقطب « أنجون جو » ما بين حاجبيه وقال :
- إنك لا تعرفنى . . . إننى لن أقوم بهذه المغامرة بقصد السرقة ،
ولكن بدافع الانتقام !
فسأله « بارد » :
- إذن ماذا نفعل بهذه الثروة ؟ هل ندفنها ثانية ؟
فأجاب « جو » :
- لا ، فهذه الفأس عليها تراب جديد ، فلا بد أن إنساناً ما كان
هنا . سننقل الصندوق إلى مغارتى .
- هل تعنى رقم واحد ؟
— لا ، بل رقم اثنين !
ونهض « أنجون جو » وقال :
- ترى من أحضر هذه الفأس إلى هنا ؟ أعتقد أن أصحابها
موجودون فى الطابق العلوى الآن ؟
وفزع الولدان !
- ووضع « أنجون جو » يده على مقبض خنجره ، ووقف لحظة متردداً
ثم استدار ناحية السلم ، وبدأ يصعده . وكان الولدان على وشك أن يقفزا
داخل الخزانة ، عندما سمعا صوت خشب قديم يتكسر ، ثم انهار السلم ،
ووقع « أنجون جو » على الأرض وسط الحطام . واستجمع نفسه وهو

يسب ويلعن ، فقال زميله :
- ما الداعي لكل هذا ؟ . . إذا كان هنا أى إنسان ، فليتبعنا ،
وسيرى ماذا نفعل به ! . . إن الظلام سيهبط بعد ربع ساعة ، وعندئذ
دعهم يتبعونا إذا شاءوا !
وبعد قليل خرج الرجلان من المنزل أثناء الغروب ، واتجها صوب
النهر وهما يحملان صندوقهما الثمين !





١٠

نهض « توم » و « هوكى » وهما يشعران
بالتعب والإرهاق . ولم يفكرا طبعاً فى ملاحقة
الشريرين تَوّاً ، فيكنى أنهما نجوا بحياتهما . وسار
الولدان صوب البلدة عن طريق التل ، وهما
يشعران بالغىظ والضيق . الغىظ من الحظ السيئ
الذى جعلهما يتركان أدواتهما حيث اكتشفها
المجرمان ، والضيق لضىاع هذه الثروة منهما !

وارتعدا عندما تذكر ما عزم عليه « أنجون جو »

من الانتقام . ترى هل كان يعنى الانتقام من « توم » ، لأنه شهد ضده
في المحكمة ؟ على أى حال عزم الولدان على مراقبة « أنجون جو » ،
وملاحظته حتى الخبأ الذى سيخفى فيه الصندوق !

وفي صباح اليوم التالى ، استيقظ « توم » — بعد ليلة ملىء بالأحلام
المزعجة — وتناول إفطاره بسرعة ، ثم أسرع للبحث عن « هوكى » .
وجلس الولدان يبحثان معاً المغامرة المقبلة ، وبخاصة ما يتعلق بـخبأ الكنز
الذى سماه « أنجون جو » : الخبأ رقم ٢ .

واتفقا على أن يبحثا في الحانات عن كل غرفة تحمل رقم ٢ .
وفي الحال ذهب « توم » إلى البلدة ، فوجد في الحانة الأولى أن الغرفة
رقم ٢ يشغلها محام شاب .

وفي الحانة الثانية وجد أن الغرفة رقم ٢ يحوطها الغموض . وقال ابن
صاحب الحانة « لتوم » إن الغرفة مقفلة دائماً ، وإنه لم ير أحداً
يدخلها أو يخرج منها إلا أثناء الليل . وهو لا يعرف السبب ، وقد لاحظ
أن الغرفة كانت مضاعة في الليلة الماضية .

وعاد « توم » إلى « هوكى » وأخبره بما سمع ، وقال :

— أعتقد أن هذه الغرفة هي المقصودة !

فقال له « هوكى » :

— محتمل يا « توم » ، والآن ماذا تنوى أن تفعل ؟

اتفق « توم » و « هوكى » على غزو الغرفة رقم ٢ في الحانة ! فقال

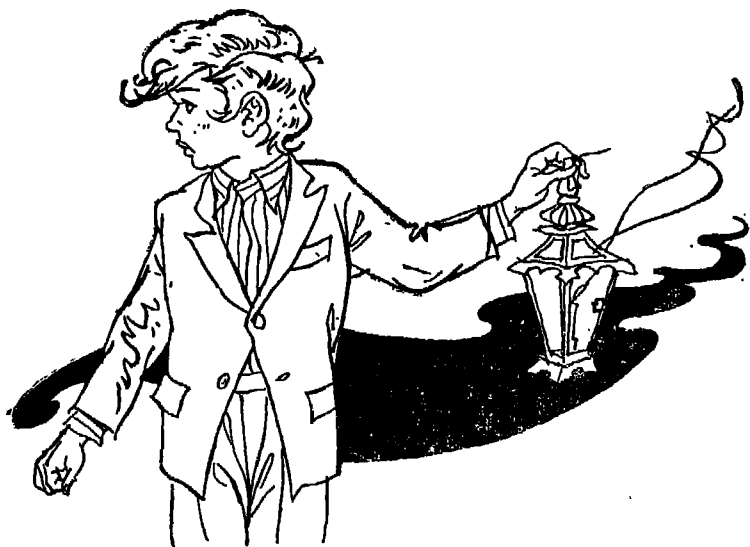
« توم » إنه سيحضر كل مفاتيح خالته ليحجرها في فتح الباب ، وطلب من « هوكى » أن يحضر هو الآخر كل المفاتيح التي يمكنه الحصول عليها . وافترق الصديقان على اتفاق أن ينفذا الخطة في أول ليلة لا يظهر فيها القمر ، حتى يتخذا من الظلام ستاراً لدخول الغرفة . ومضت ليال مقسرة ، ثم جاءت ليلة غاب فيها القمر ، فأسرع « توم » بالخروج من بيت خالته ومعه مصباح من الصفيح ، والتقى بـ « هوكى » عند الحانة .

وعندما أطفئ آخر نور في الحانة ، تسلسل « توم » وحده إليها لتفتيش الغرفة رقم ٢ ، ووقف « هوكى » يرقب الطريق . ومضى الوقت و « هوكى » قلق على صديقه ، يخشى أن يكون قد أصابه مكروه . وبعد فترة طويلة ظهر « توم » وهو يجرى ويصيح :

— اجر يا « هوكى » ! . . . اجر بأقصى ما تستطيع ، لتنجو بحياتك !

انطلق « هوكى » يجرى كالصاروخ ، وخلفه « توم » ، ولم يتوقف الولدان إلا عند حظيرة الماشية المهجورة التي تقع خارج قريتهما . وما كادا يدخلانها حتى انطلق دوى الرعد في السماء ، ثم انهمر المطر غزيراً .

وقف « توم » لاهث الأنفاس ، يصف لـ « هوكى » ما حدث :
— لقد كان كل شيء فظيماً يا « هوكى » ، لقد جربت مفاتيح



بكل ما أملك من خفة يد ، ولكنهما لم يدورا في القفل ، وبدأ لى أنهما
أحدثا صوتًا عاليًا ، فجزعت . وبدون أن أدري ما أنا فاعل ، مددت
يدي وأمسكت بمقبض الباب . . . فانفتح الباب بسهولة — إذ لم يكن
مقفلا بأى قفل — ودخلت بهدوء ، ونظرت أمامي ، فرأيت الهول الأكبر :
رأيت « أنجون جو » مستلقيا على أرض الغرفة غارقًا في النوم ، فأسرعت
أجري .

وسأل « هوكي » :

— وهل استيقظ “ أنجون جو ” ؟ وهل رأيت الصندوق ؟

فأجابه "توم" :

— كلا ، لم يستيقظ ، فقد كان سكران . . . ولم أر الصندوق ، فقد كانت الغرفة حافلة بالزجاجات وبراميل الخمر ، ولا بد أن بكل حانة غرفة مثلها .

وبعد مناقشة ، اتفق الصديقان على ألا يذهبا إلى الغرفة مرة أخرى ، إلا إذا رأيا « أنجون جو » يغادرها ، حتى لا يقعا في يده ! . . . وكان على « هوكى » أن يقوم بالمراقبة ليلا ، وينام نهاراً ، فإذا رأى « أنجون جو » يغادر الغرفة فعليه أن يسرع إلى « توم » ويطلق صغيراً تحت نافذة غرفته . وفي الصباح علم « توم » أن « بيكى » قررت القيام برحلة في اليوم التالى مع بنات وأولاد آخرين إلى غابة بها كهف ومغارات تستحق المشاهدة ، فأسرع يشترك في الرحلة .

* * *

وفي صباح اليوم التالى ، وحوالى الساعة العاشرة ، تجمع الأولاد والبنات في بيت القاضى « ثاتشر » — والد « بيكى » — وأخذت السيدة « ثاتشر » تنصح ابنتها « بيكى » ، فقالت لها :

— إنكم لن تعودوا إلا متأخرين ، ومن الأفضل بعد عودتك أن تقضى الليلة مع بعض زميلاتك اللواتى يسكن بجوار مرسى القوارب .

فقالت « بيكى » :

— إذن سأقضى الليلة عند « سوزى هاربر » .

وفي الحال بدأ جميع الأولاد يحملون سلال الطعام ، في طريقهم إلى مرسى الزورق البخارى . وعندما اكتمل عددهم بدأت الرحلة .

وأخذ « توم » يحدث « بيكى » قائلاً :

— بعد عودتنا من الرحلة تعالى نتسلق التل ، ونذهب إلى بيت الأرملة

« دوغلاس » ، فهى تجيد صناعة « الآيس كريم » ، وسرحب بنا .

فقال « بيكى » :

— فكرة رائعة يا « توم » ، ولكن ماذا تقول والدنى ؟

ورد « توم » فى إقتناع :

— لن تقول شيئاً طبعاً ، إن كل ما يهمها هو أن تقضى الليلة فى

مكان أمين ، وأراهن أنها كانت ستنصحك بالذهاب إلى الأرملة

« دوغلاس » ، لوخطرت لها هذه الفكرة !

وأمام هذا الرأى المعقول ، وافقت « بيكى » . وقرر الاثنان إخفاء

برنامج هذه الزيارة عن بقية الأولاد .

وفجأة خطر لـ « توم » أن « هوكى » قد يحضر هذه الليلة إلى منزل

الحالة « بولى » ليذهباً معاً لإحضار صندوق الذهب . . . وأخذ القلق

يستولى عليه ، ولكنه قال لنفسه :

— هذا أمر بعيد الاحتمال ، فإن « هوكى » لم يظهر فى الليلة الماضية ،

ولعله لن يحضر هذه الليلة أيضاً .

وهكذا قرر « توم » أن يستمتع برحلته ، وأن ينسى كل شىء عن

صندوق الذهب فى تلك الليلة !

* * *

بدأ « هوكى » حراسته فى الوقت الذى أفلح فيه الزورق البخارى ، عائداً بالأولاد من رحلتهم . وكانت الليلة مظلمة وغائمة . وجاءت الساعة العاشرة ، ثم الحادية عشرة ، وأطفئت أنوار الحانة ، ونامت القرية . وانتظر « هوكى » وقتاً ، بدا له طويلاً للغاية ، بدون أن يحدث شىء ! . . . وفجأة ، التقطت أذناه صوتاً ، وفى لحظة واحدة كان « هوكى » منزوياً وراء ركن مخزن الطوب . . . وفى اللحظة التالية مر به رجلان ، وبدا أن واحداً منهما يحمل شيئاً تحت إبطه . لا بد أنه صندوق الكنز . وحدث « هوكى » نفسه : يجب استدعاء « توم » فوراً ، فالرجلان سيذهبان بالصندوق ، ولن نعر عليهما مطلقاً بعد الآن ! وتسلل « هوكى » خلفهما ، محتفظاً بمسافة بينه وبينهما - حتى لا يشعر به - وخرج الرجلان خارج القرية ، ثم أخذوا الطريق الذى يؤدى إلى تل « كارديف » . وصعدا التل حتى وصلا إلى قمته . . . وعند القمة سارا فى ممر تحجبه الأعشاب الطويلة ، وسرعان ما اختفيا عن الأنظار !

وأسرع « هوكى » الخطى ليقرب المسافة بينه وبين اللصين ، وكان يرهف أذنيه ليسمع وقع خطواتهما . وبعد فترة من السير ، اكتشف « هوكى » أنهما على بعد بضعة خطوات من الطريق الذى يؤدى إلى أرض

السيدة « دوجلاس » . وسمع « هوكى » صوت « أنجون جو » يقول :
— لعنة الله عليها ! يبدو أن معها ضيوفاً ، فبيتها لا يزال مضاء ،
مع أن الوقت متأخر !

وردّ عليه زميله قائلاً :

— إننى لا أرى أحداً .

وأدرك « هوكى » فى الحال سرّ الانتقام الذى كان « أنجون جو »
يتكلم عنه فى البيت المهجور . وانتابت قلب « هوكى » قشعريرة
باردة !

أتراهما ذاهبان لقتل السيدة « دوجلاس » ؟

وقال « أنجون جو » :

— دقق النظر جيداً ، ألا ترى أحداً ؟

وأجابه زميله :

— نعم ، يوجد بالفعل بعض الناس فى البيت ، من رأى التخلّى عن
هذه المهمة الآن !

فقال « أنجون جو » :

— أتتخلّى عنها وأنا راحل عن هذه البلدة إلى الأبد ؟ كلا ، سوف
أنتقم ، فقد حبسنى زوجها بتهمة التشرد ، وجلدنى أمام السجن كما يجلد
الحصان ! . . . سوف أنتقم منها ، وقد أحضرتك معى لنساعدنى ،

وسأتركك تستولى على حاجياتها!

فقال له زميله :

— حسناً ، ما دمت مصراً على هذا فلنسرع .

— سنتنظر حتى يخرج الزوار ونطفأ الأنوار ، ولا داعي للعجلة !

وكان « هوكى » يستمع إلى هذا الحوار وقد أمسك أنفاسه ، ثم خطا إلى الورا في حذر شديد ، واستدار . . . وعندما شعر أنه أصبح في أمان ، أطلق ساقيه للريح منحدرًا إلى أسفل التل ، حتى وصل إلى أقرب بيت صادفه ، وكان بيت أسرة « ويلشمان » ، فأخذ يدق بابه بكل قوة . وسرعان ما برز رأس « ويلشمان » ، ورأى « هوكى » ابنه من النافذة وهما يصيحان :

— من هناك ؟ من يدق الباب ؟ ماذا تريد ؟

— أنا « هكلبيرى فن » ، أدخلونى بسرعة !

فقال الأب :

— إنه « هكلبيرى فن » فعلا ، وهو ليس من الأشخاص المرغوب

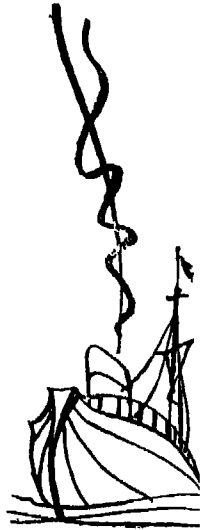
فيهم ، ولكن أدخلاه ، لئرى ماذا يريد .

وكان أول شىء قاله « هوكى » عندما دخل :

— أرجوكم ألا تقولوا مطلقًا إننى أبلغتكم ، أرجوكم ، وإلا

قتلت !

وأخذ « هوكى » يتحدث إلى أسرة « ويلشمان » وهو لاهث الأنفاس :



وبعد ثلاث دقائق كان « ويلشمان » وولداه يصعدون التل وقد تسلحوا جميعاً بالمسدسات والبنادق ، ووصلوا إلى الممر الذي تغطيه الأعشاب ، وهم يمشون على أطراف أصابعهم ، وفي أيديهم السلاح - استعداداً لإطلاق النار - وكان « هوكى » يرشدهم ، ولكن عندما اقتربوا من المكان الذى ترك فيه المجرمين منذ قليل ، تركهم « هوكى » يتقدمون ، واختبأ خلف صخرة

– إن السيدة « دوجلاس » تعطف علىّ في بعض الأحيان ، وأريد
أن أقول لكم شيئاً ، وسأقوله إذا وعدتموني بالألا تقولوا لاني الذي
أبلغتكم !

وصاح « ويلشمان » العجوز :

– يبدو أن الولد سيبلغنا شيئاً خطيراً ، وإلاّ ما اضطرب هكذا . .

أطمئن يا بني ، وقل لنا كل شيء !





كبيرة ، وارهف أذنيه . ومرت فترة سكون . . وفجأة دوى صوت الرصاص ، وانطلقت صيحة عالية . . .

ولم ينتظر « هوكى » حتى يعرف ما حدث بالتفصيل ، فقد قفز :
وانحدر إلى أسفل التل في سرعة عظيمة !

* * *

وفي صباح اليوم التالى ، تناول « هوكى » طعام الإفطار على مائدة « ويلشمان » ، وعرف كل ما حدث : فقد فر المجرمان ناجيين بحياتهما ، وتركوا خلفهما حزمة فيها الأدوات التى كانا ينويان استعمالها فى الجريمة . . .
وشعر « هوكى » بالارتياح عندما علم بفرار المجرمين ، والعثور على الأدوات التى كانا سوف يستخدمانها فى جريمتهم المتوقعة .

واخترع « هوكى » قصة تفسر سبب تعقبه لهذين المجرمين ، ولكن لسانه خانه ، وقال إن أحد المجرمين هو فى الحقيقة « أنجون جو » المجرم الهارب ! . . . ولم يستقر « هوكى » حتى وعده « ويلشمان » وولداه بأنهم لن ينطقوا لأحد بحرف عن هذا الجزء من القصة !

ولما انتهى الجميع من تناول الإفطار ، سمعت دقات على الباب ، ودخل عدد من الرجال والنساء بينهم السيدة « دوجلاس » . وأسرع « هوكى » بالاختفاء فى الوقت المناسب !

وعندما أخذت السيدة « دوجلاس » تشكر « ويلشمان » ، قال لها :

— لا داعى لهذا الشكر يا سيدتى ، فهناك إنسان أحق بهذا الشكر
منى ومن ولدتى ، ولولاه ما كنا ذهبنا إلى أرضك ، ومنعنا الجريمة في
الوقت المناسب ، ولكنه للأسف يرفض إذاعة اسمه !

وقد أثار كلام « ويلشان » مزيداً من حب الاستطلاع ، ولكنه لم
يزد حرفاً واحداً على ما قال ، برغم أنه كان يعيد القصة على كل زائر
جديد . وكانت هذه الحادثة مثار الأحاديث في الكنيسة في الصباح ،
وبدا أنه لا موضوع يستحق الكلام أكثر منها . ولكن بعد انتهاء
الموعظة ، وقفت السيدة « ثاتشر » عند الصف التى تجلس فيه المنز
« هاربر » وسألتها :

— هل قررت ابنتى « بيكى » النوم طول النهار ؟

— ابنتك « بيكى » ؟ . . ماذا تقصدين ؟

فأجابت السيدة « ثاتشر » وقد بدت عليها الدهشة :

— نعم ابنتى ، ألم تقض معكم الليلة الماضية ؟

— كلا ، لماذا ؟

ولم تحتمل السيدة « ثاتشر » الصدمة ، فجلست متهاككة . . . ولم

تلبث أن وصلت الحالة « بولى » ، فقالت بدورها :

— صباح الخير ، لم يأت « توم » الليلة ، وأعتقد أنه قضى الليلة

عندكم يا مسز « ثاتشر » !

لكن السيدة « ثاتشر » هزت رأسها بالنفى ، فى حين عادت السيدة

« هاربر » تسأل خالة الصبي ، في شىء من القلق :

– تقولين إنه لم يعد إلى البيت فى الليلة الماضية ؟

وسألت الخالة « بولى » « جو هاربر » ، صديق « توم » :

– ألم تر « توم » هذا الصباح يا « جو » ؟

وبدأ القلق يتسرب إلى نفس الخالة « بولى » ، عندما رد عليها

جو :

– كلا ياسيدتى !

فسألته :

– متى رأيت « توم » آخر مرة ؟

وحاول « جو » أن يتذكر متى رأى « توم » لآخر مرة ، ولكنه لم يكن متأكداً . وأخذت الخالة « بولى » تسأل الأطفال الذين اشتركوا فى الرحلة طفلاً طفلاً ، ثم سألت المدرسين ، ولكنهم جميعاً أكدوا أنهم لم يروا « توم » و « بيكى » فى الزورق البخارى فى طريق العودة من الرحلة !

وأخيراً صرح أحد الأطفال بأن « توم » و « بيكى » لا يزالان فى الكهف ، فأغمى على المسز « ناتشر » ، وأخذت الخالة « بولى » تبيكى ، وتلوح بيديها فى عصبية . وانتقل الخبر المثير من منزل إلى منزل ، ومن جماعة إلى جماعة ، ومن شارع إلى شارع ! . . . وبعد خمس دقائق كانت الأجراس كلها تدق فى قوة وعنف ، واستيقظت البلدة كلها !

ونسى الناس أمر اللصين . وأسرجت الخيول ، وأعد الزورق البخارى للإبحار فى أقل من نصف ساعة ، وانطلق أكثر من مائتى شخص فى طريقهم إلى الغابة !

وبدت القرية بعد ظهر ذلك اليوم وكأنها خالية من السكان . . . وفى الليل ظل الناس ساهرين فى انتظار الأخبار . ولكن عندما أشرق الصباح ، كانت الحملة الوحيدة التى وصلت إلى القرية من أهلها الذين يواصلون البحث فى الغابة ، هى :

— أرسلوا مزيداً من الشمع ، والطعام !

وعند الظهر بدأت بعض الجماعات تعود إلى القرية . وقالوا إن أجزاء من الكهف — لم يزرها أحد من قبل — قد فتشت . وفى أحد أركان الكهف رأى الباحثون آثار اسمى « بيكى » و « توم » محفورة على جدار صخرى علق به هباب دخان الشمع . وقال آخرون إنهم كانوا يلمحون ضوءاً يلمع من بعيد فى بعض الأحيان ، ولكن كان يتضح بعد ذلك أنه ضوء فرقة أخرى من الباحثين ، فتحل خيبة الأمل محل الأمل والرجاء ! وكادت السيدة « ثاتشر » أن تفقد صوابها ، وكاد يحدث ذلك للخالة « بولى » أيضاً .

ومرت على القرية ثلاث ليالٍ مخيفة ، أحس الجميع بعدها أنهم فقدوا كل أمل ، كما فقدوا الحماسة والقوة اللازمين للبحث !



ولكن ، ماذا حدث لـ «توم» و «بيكى» ؟

لقد وصلا مع غيرهم من الأولاد والبنات إلى الكهف ، وزارا معهم الأماكن المألوفة ، والأشياء الغريبة . وبعد أن سئما مثل هذه المشاهد ، انفصلا عن باقى الجماعة ، وسارا فى طريق متعرج ، وهما يمسكان الشموع الموقدة ، ويقرآن الأسماء والتواريخ والعناوين المكتوبة بسواد الدخان ، على الجدران الصخرية . . .

وهكذا واصل «توم» و «بيكى» سيرهما من غير أن يلحظا أنهما أصبحا في جزء مهجور من الكهف! . . . وتحت ثنوء صخرى بارز كتب اسميهما بسواد الدخان (السناج) ، ثم واصلا سيرهما . وبعد ذلك لمح «توم» سلماً طبيعياً شديداً الانحدار ، بين جدارين ضيقين ، وفي الحال تملكته رغبة في أن يدخل في عداد «المستكشفين» . . . وسرعان ما أقنع «بيكى» بالانضمام إليه في مغامرته ، فتركا علامة بسواد الدخان خلفهما -- كى يهتدى بها من يأتي في أثرهما -- ونزلا السلم .

وسلكا الطرق المتتوية بعيداً في أعماق الكهف ، ثم تركا علامة أخرى . . . واستمرا ينتقلان من مغارة إلى مغارة ، حتى وجدا نفسيهما أخيراً بجانب نبع صغير ، في حجرة صخرية واسعة . ومن سقف الغرفة تدلت الخفافيش المعلقة من أرجلها ، وبدأت المئات منها تهبط ، وهي تزرقق محومة حول ضوء الشمع المتراقص . وأدرك «توم» أنهما أصبحا في خطر ، فقبض على ذراع «بيكى» واقتادها إلى أقرب دهليز ليحتميا فيه ، وفي نفس اللحظة خبط خفاش الشمعة بجناحيه ، فانطفأت الشمعة ! وطاردت الخفافيش الصديقين مسافة طويلة ، فأخذوا يجران . حتى وجد «توم» بركة تحت الأرض ، أراد النزول فيها . . . ولكن «بيكى» كانت متعبة ، فجلسا بجوار البركة يستريحان .

وعندئذ ، ولأول مرة ، ثقل السكون والشعور بالوحدة على الصديقين ، فقالت «بيكى» :

— يحسن أن نبدأ في العودة إلى الخارج . هل تستطيع معرفة الطريق يا « توم » ؟ يبدو لي أن كل الطرق متشابهة ومتشابهة !

وبدأ الاثنان رحلة العودة في صمت . . . فسارا في أحد الدهاليز وهما يبحثان عن معالم الطريق التي سلكاها في رحلة الدخول ، ولكن بلا جدوى ! . . . فأخذ الخوف يتسرب إلى قلب « توم » ، واقتربت « بيكى » منه في انزعاج ، فقد استطاعت أن تدرك من تصرفاته أنه لا يعرف الطريق إلى خارج الكهف ! . . . فقالت :

— إنك لم تترك علامات للطريق يا « توم » !

فقال لها :

— لقد كنت غيبياً ، غيبياً للغاية يا « بيكى » . فلم أفكر في طريقة العودة . والحقيقة أنني الآن لا أستطيع معرفة الطريق . فكل الطرق مختاطة أمامي !

فصاحت في ذعر :

— لقد ضللنا الطريق إذن يا « توم » ! . . . ضللنا يا « توم » . . .

لن نخرج من هذا المكان المخيف مرة أخرى . لماذا تركنا الآخرين ؟ لماذا ؟

وارتمت « بيكى » على الأرض ، وانفجرت في نوبة من البكاء . . .

فأسرع « توم » يجلس بجوارها ، وأحاطها بذراعه ، متوسلا إليها ألا تستسلم لليأس بهذه السرعة ، وأن تتمسك بالأمل في العودة . . . ثم بدأ يلوم نفسه ! . . . وكان لما فعله تأثير طيب ، فقالت له « بيكى » إنها ستحاول مواصلة السير . وهكذا تحركا من جديد ، على غير هدى . كل ما كانا يستطيعانه هو السير ، والسير دائماً !

وبعد فترة من السير بلا هدف ، أخذ « توم » شمعة « بيكى » وأطفأها ! . . . وفهمت « بيكى » لماذا فعل ذلك ، فتبدد كل أمل عندها في العودة ! لقد كانت تعلم أن « توم » لا يزال يحتفظ بثلاث شمعات أو أربع في جيبه ، وما دام يريد الاقتصاد في الشمع ، فعنى هذا أن الأمل في الخروج بعيد ! . . . وأخيراً عجزت « بيكى » عن السير ، فقد نغلب التعب على الطفلة المسكينة . فجلست على الأرض ، ولم تلبث أن غلبها النوم . . .

وحين استيقظت ، قال « توم » إنهما يجب أن يسيرا على مهل ، ويستمعا إلى قطرات الماء المتساقطة ، فقد يعثران على نبع . وسرعان ما عثرا عليه بالفعل ، وقال « توم » إنه قد حان الوقت للراحة ، فأخبرته « بيكى » أنها تستطيع السير مسافة أخرى ، ولكنها اندهشت عندما قال لها « توم » :

— كلا ! لن نسير أكثر من ذلك . . .

وجلسا بجوار النبع ، وثبتت « توم » الشمعة على الجدار المقابل لهما ،
بشيء من الطين . . . وقالت « بيكى » :
- أنا جائعة جدا يا « توم » .

وأخرج « توم » من جيبه قطعة من الكعك كانت « بيكى » قد
احتفظت بها من طعام الرحلة ، وقسم القطعة . . . فأكلت « بيكى »
قطعتها في سرعة ، ولكن « توم » أخذ يقضم قطعته في بطاء شديد ! . . .
وكانت « بيكى » تقترح من وقت لآخر أن يستأنفا السير . . . لكن
« توم » لزم الصمت فترة من الوقت ، ثم قال آخر الأمر :

- يا « بيكى » ، هل يمكنك تحمل ما سوف أقوله لك ؟ يجب أن
نبتى هنا حيث يوجد ماء لنشرب ، فهذه الشمعة هي آخر شمعة
معنا !

واستسلمت « بيكى » للبكاء والنحيب . . . وأخيراً قالت :

- لا بد أنهم سيبحثون عنا يا « توم » !

فأجابها « توم » :

- طبعاً ، بكل تأكيد .

وثبتت الصغيران أعينهما على الشمعة الوحيدة التي بقيت لهما ، وهما
يريانها تذوب شيئاً فشيئاً . . . وظلا يراقبانها حتى تلاشت تماماً ، ثم
احتواهما الظلام المخيف !

لم يعرف أحدهما كم من الوقت مضى عليهما وسط هذا الظلام . . .
وبدا لهما الوقت كأنه لا نهاية له ، وكأنهما استيقظا من نوم طويل ليقاسيا
الآلام الهائلة : آلام الوحدة ، والخوف ، والشعور بالضياع ، وفقدان
الأمّل في النجاة أو الحياة !

ولم يعرفا بالضبط في أى يوم أصبحا . . . وقال « توم » إن اليوم
ربما كان الأحد ، وربما كان الاثنين ، أو الثلاثاء ، وإن البحث عنهما
لا بد أنه مستمر . . . وإذا صباح ، فلا بد أن يسمعه أحد !

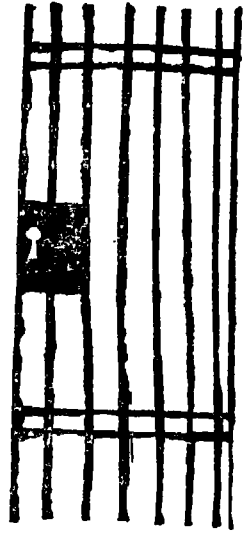
وصاح بأعلى صوته ! . . . ولكن الصدى الذى تجاوبت به جدران
الكهف كان فظيلاً . . . فكفّ عن الصياح ، ولم يحاوله مرة أخرى !
ومرت الساعات ، بلا نهاية ! . . . وكان « توم » قد احتفظ بقطعة
صغيرة من الكعك ، فتقاسمها مع « بيكى » ، وأكلاها . ولكنهما شعرا
أنهما أصبحا أشدّ جوعاً من ذى قبل !

وهنا خطرت « لتوم » فكرة : كان يعرف أن هناك ممرات جانبية
قريبة منهما ، وأن من الأفضل استكشافها ، بدلا من التكاسل . . .
فأخرج من جيبه خيط طيارة ، وربط طرفه في نتوء ، وتناول هو و « بيكى
الطرف الآخر ، وسارا : « توم » في المقدمة يتحسس الطريق ، و « بيكى »
وراءه . . . وبعد حوالى عشرين خطوة ، انتهى الممر بمكان خال ،
فركع « توم » على ركبتيه ، وأخذ يتحسس ما حوله ، بقدر ما يستطيع . . .
وفجأة ، وعلى بعد عشرين متراً ، برزت يد إنسان من وراء صخرة ،

وهي تمسك شمعة موقدة! . . وصاح « توم » صيحة الظفر ، وفي الحال تبع اليد جسم صاحبها ، الذي لم يكن سوى : « أنجون جو » !
وشل الولد ، وعجز عن الحركة . ولكن لحسن الحظ ، استدار « أنجون » واختفى عن الأنظار ! . . . وسأل « توم » نفسه عما إذا كان « أنجون جو » قد عرف صوته عندما صاح ؟ ولكن لا بد أن أصداء الصيحة داخل الكهف قد أخفت صوته !

وأضعف الخوف كل عضلة في جسم « توم » ، ولكن ذهنه ازداد تنبهاً! . . وقرر « توم » أن يبقى بجانب النبع ، ولا يغامر ببقاء « أنجون جو » ثانية . وحرص على ألا يخبر « بيكى » بما رآه . وبتأثير الخوف ، والإرهاق ، غلبه النوم آخر الأمر . ثم نامت « بيكى » بدورها . . وبعد ليلة طويلة بجوار النبع ، استيقظ الصغيران ، وآلام الجوع الفظيع أقوى من احتمالهما . واقترح « توم » أن يستكشف ممرا آخر ، ولكن « بيكى » قالت إنها ستبقى حيث هي ، تنتظر الموت ، ولن يطول انتظارها إياه ! وقالت : « توم » إنه يستطيع أن يستكشف الممر وحده إذا شاء ، ولكنها توسلت إليه أن يعود من وقت لآخر ليتحدث معها .

وأظهر « توم » أنه لا يزال قوى الأمل في النجاة . . فأخذ الخيط ، وسار يتحسس طريقه في ممر آخر ، وكان ألم الجوع يعذبه ، والشعور بدنو الأجل يسيطر عليه !



١٣

وفي تلك الأثناء كانت قرية « سانت بتسبرج »
لا تزال في حداد على الصديقين المفقودين . . .
والصلوات ترفع من أجلهما !
وجاء يوم الثلاثاء ، ولا يزال الاثنان
مفقودين . . . فرضت السيدة « تاتشر » والدة
« بيكي » ، وكاد شعر السيدة « بولى »
خالة « نوم » يبيض كله ، وخيم الحزن على
سكان القرية .

وفي منتصف الليل ، دقت أجراس القرية ، وكانت قوية متتالية .
وبعد لحظات ، امتلأت طرقات القرية بالناس وهم يتصايحون :
- افرحوا ! افرحوا ! لقد وجدناهما !

واندفعت الجماهير إلى النهر ، فالتقوا بالصغيرين « توم » و « بيكى »
يركبان عربة مكشوفة ، يدفعها المواطنون الذين كانوا يصيحون صيحات
الفرح والابتهاج ، وفي كل خطوة كان عدد من سكان القرية ينضم إلى
الموكب ، وهو يسير في اتجاه بيت الصغيرين ، مارا بالشارع الرئيسي ،
والهتافات تتعالى معبرة عن الفرحة الكبرى بحياة الصغيرين .

* * *

ولم يذهب أحد إلى فراشه في تلك الليلة ، فقد كانت أعظم ليلة مرت
في تاريخ القرية ! وفي خلال نصف الساعة الأولى تقاطر موكب من
القرويين إلى بيت القاضى « ثاتشر » والد « بيكى » ، وكانت العربة قد
وصلت إليه ، وكان القرويون يقبلون الصغيرين ، ويهزون يد السيدة
« ثاتشر » مهنتين ، ثم يخرجون وعلى وجوههم دموع الفرح ، ويخجلون
المكان لغيرهم من المهنتين . وكان أحد الأشخاص قد أسرع إلى الكهف
ليزف البشرى الكبرى إلى القاضى الذى كان يتتبع بنفسه محاولات البحث
عن المفقودين داخل الكهف .

أما الخالة « بولى » فقد كانت سعادتها بعودة « توم » سالماً ،



لا توصف! .. واسترخى «توم» على كنبه مريحة ، وحوله جمهور يتطلع إليه في شغف واهتمام ، وهو يروي قصته : كيف ترك «بيكى» ، وذهب ليستكشف ممرات الكهف ... وكيف أنه سار في ممرين ، ثم في ثالث ، وكان على وشك أن يرجع من حيث أتى .. عندما لمح من بعيد ضوءاً يبدو كأنه ضوء النهار . فألقى بالحيط ، وأسرع في اتجاهه ، فرأى الضوء يأتي من فتحة ضيقة ، أخرج منها رأسه وكتفيه ، فرأى نهر «المسيبي» العريض يجرى تحته !

وقص كيف أنه عاد مسرعاً إلى «بيكى» ، وأبلغها باكتشافه ...

وكيف أنها لم تصدقه في أول الأمر ، ثم كيف كاد يُغمى عليها من شدة الفرح عندما تأكدت من صدق كلامه ! . . . وكيف أنهما وجدا بعض الناس في قارب صغير ، وأن هؤلاء الناس لم يصدقوا القصة – غير المعقولة – في أول الأمر ، قائلين لهما : إنكما على بعد خمسة أميال من الوادى الذى فيه الكهف !

ولم يكن من السهل التخلص من آثار التعب والجوع اللذين عاناهما الصغيران في الكهف . ولم تكف ثلاثة أيام للتخلص من هذه الآثار ، فظل « توم » و « بيكى » في فراشيهما طوال يومى الأربعاء والخميس . وفى يوم السبت كان « توم » قد استرد عافيته تماماً ، ولكن « بيكى » لم تغادر الفراش حتى يوم الأحد . . . وحتى بعد هذا بدت كأنها في دور النقاهاة من مرض طويل !

وكان أول خاطر خطر لـ « توم » أن يذهب للبحث عن « هوكى » ، الذى وقع فريسة للمرض بعد مغامرة « تل كارديف » ، فأشرفت على تمريضه السيدة « دوجلاس » ، التى كاد الجرمان يقتلاناها في تلك الليلة . ولما حضر « توم » لأول مرة رفضت السيدة « دوجلاس » أن تسمح له بالدخول إلى غرفة « هوكى » ، ولكنها في المرة التالية سمحت له بالدخول ، غير أنها طلبت منه ألا يبادلها الحديث في أى شئ مثير للأعصاب !

* * *

وبعد حوالي أسبوعين من حادث الكهف ، كان « توم » فى طريقه لزيارة « هوكى » ، ومر بببيت « بيكى » ، فدخل لزيارتها . . . وكان القاضى « ناتشر » فى البيت ، فقال لـ « توم » :
— اطمئن « يا توم » . لن يضل أحد فى الكهف بعد الآن ، فقد أمرت بسدّ مدخل الكهف بباب حديدى منذ أسبوعين ، ومعى مفاتيح هذا الباب !

وعند سماع هذا الكلام ، ابيض وجه « توم » وصاح :
— ياه ! ولكن « أنجون جو » يختبئ فى داخل هذا الكهف !
وبعد دقائق معدودات ذاع الخبر . وركب اثنا عشر رجلاً زورقاً واتجهوا إلى الكهف . وعندما فتحوا الباب الضخم ، رأى الجميع منظرًا فظيعاً !

رأوا « أنجون جو » ممدداً على الأرض ، ووجهه قريب من شق الباب ، وخنجره ملقى بجانبه ، مكسوراً! . . . وجدوا حفرة تحت الباب ، وكان من الواضح أن المجرم حاول حفر منفذ يخرج منه ، ولكن محاولته أخفقت ، لأن الصخر كان أقوى من خنجره ، فمات من الجوع !

ولما ذهب « توم » لزيارة « هوكى » ، كان « هوكى » قد علم بمغامرة الكهف ، وموت « أنجون جو » . وجلس الصديقان يفكران فى المكان الذى يحتمل أن يكون المجرم قد أخفى كنز فيه . وفجأة قال « توم » :

- أعتقد أن الكنز موجود في الكهف يا « هوكى » !
 فلمعت عينا « هوكى » ، وسأل « توم » :
 — هل أنت جاد في البحث عن الكنز يا « توم » ؟
 — طبعاً يا « هوكى » ! . . تعال معى ، فإذا لم نعث على الكنز
 أعطيتك طبائى ، وكل شىء أملكه فى هذه الدنيا . وسأفى بوعدى !
 والآن هل أنت مستعد لهذه المغامرة ؟
 وأجاب « هوكى » فى ارتياب :
 — هل المسافة بعيدة ؟ إنى لا أستطيع السير أكثر من ميل
 واحد . بل إنى فى الحقيقة لا أقوى حتى على ذلك يا « توم » .
 — إن المسافة لا تقل عن خمسة أميال ، ولا أحد غيرى يعرف
 المكان الذى أخفى فيه « أنجون جو » الكنز يا « هوكى » ، ولكن هناك
 طريقاً مختصراً لا يعرفه سوى ، وسأخذك إليه فى زورق !
 — إذن هيا نبدأ من الآن يا « توم » !

* * *

- وبعد الظهر بقليل استعار الولدان زورقاً صغيراً ، وانحدرا به فى
 نهر « الميسيبى » . وبعد بضعة أميال أصبحت تحت تجويف الكهف ،
 وقال « توم » :
 — هذه البقعة البيضاء على الصخرة هى علامتى ، سنرمى القارب
 هنا .

وأرسي الصديقان قاربهما ، ودخلا الكهف ، وشقا طريقيهما حتى نهاية النفق . وبعد خطوات وصلا إلى النبع ، وانتابت « توم » قشعريرة عندما أشار لـ « هوكى » إلى آثار الشمعة التي ثبتها هو و « بيكى » على جدران الكهف ، قبل نجاتهما ! وبعد قليل وصلا إلى المكان الذى التى فيه « توم » بـ « أنجون جو » ، وكان عبارة عن تل رملي يصل ارتفاعه إلى عشرين أو ثلاثين متراً . وقال « توم » :

— والآن سأريك شيئاً يا « هوكى » !

ورفع شمعته ، وقال :

— انظر إلى أبعد ما تستطيع ، هل ترى العلامة المرسومة على الصخر

بسواد الدخان ؟

فأجابه « هوكى » :

— إنها علامة صليب يا « توم » !

قال « توم » :

— والآن هل ترى رقم ٢ ؟ إنه تحت العلامة ، تحتها تماماً ، فى

المكان نفسه الذى رأيت فيه « أنجون جو » يضع شمعته . هيا نهبط يا « هوكى » لنبحث عن الصندوق .

وهبط « توم » فى المقدمة ، وتبعه « هوكى » ، وفى أسفل التل

بدت أربعة ممرات تؤدي إلى داخل الكهف الصغير الذى قام التل

أمامه . وفحص الولدان ثلاثة منها ، ولكن من غير نتيجة . وقال
« توم » :

— لقد قال إن الكنز تحت الصليب ، لا بد أن يكون الصندوق
قريباً من الصليب ، ومن المستحيل أن يكون الصندوق تحت الصخرة
لأنها ثابتة على الأرض .

وأخذ الولدان يبحثان في كل مكان مرة أخرى ، وبعد فترة من الوقت
قال « توم » :

— انظر هنا يا « هوكي » ! . هذه آثار أقدام ، وهذه آثار شمعة
في الجانب الآخر من الصخرة ، أراهن أن الكنز مدفون تحت الصخرة ،
إنني سأحفر تحتها !

وأخرج « توم » سكيناً في الحال ، ولم يحفر أكثر من عشرة سنتيمترات
حتى اصطدمت السكين بجسم خشبي . وأزال الولدان ما وجداه من ألواح
خشبية ، فظهرت فتحة طبيعية تحت الصخر . ودخل « توم » من الفتحة
فوجد نفسه في نفق متعرج ، سار فيه ، و « هوكي » في أثره ، وفجأة
صاح « توم » :

— ياه ! انظر يا « هوكي » !

وعلى بعد خطوات كان أمامهما صندوق الكنز ، فأمرعا إليه ، وفتحاه ..
وأخذ « هوكي » يغرف النقود الذهبية بيديه ، ويقول :

— لقد أصبحنا من الأغنياء يا « توم » !

فيرد عليه « توم » في مثل حماسته :

— إنني كنت واثقاً دائماً أننا سنصبح من الأغنياء في يوم من الأيام

يا « هوكي » !

وحاول « توم » رفع الصندوق ، ولكنه كان ثقيلاً ، فتركه حيث هو ،

وقال :

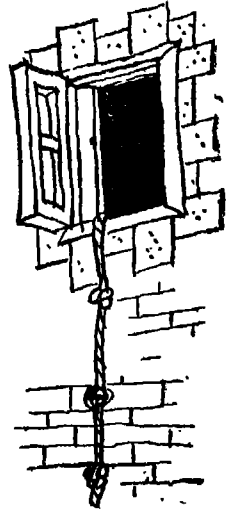
— لقد كنت على حق عندما أحضرت هذه الأكياس الصغيرة

معى .



وسرعان ما أفرغ الولدان النقود من الصندوق ، ووضعها في الأكياس .
وبعد قليل خرجا من الكهف ، ونظرا حواليهما ، فرأيا المكان خالياً ،
فركبا القارب ، وراحا يجذفان متجهين نحو الشاطئ . . .





١٤

لم يصل الصبيان إلى الشاطئ الآخر إلا بعد
أن حل المساء . . . فقال «توم» :

– والآن يا «هوكي» ، هيا نخبئ النقود
في حظيرة السيدة «دوجلاس» ، ثم نعدّها
ونقتسمها فيما بيننا . وعليك أنت بالانتظار هنا
وحراسة النقود ، إلى أن أذهب وأحضر عربة «بني
تيلور» الصغيرة .

واختفى «توم» ، وظهر بعد قليل ومعه

العربة . فوضعا الأكياس عليها ، وغطياها بالخرق البالية ، وسارا ، وكان « توم » يجر العربة خلفه . وعندما وصل الولدان إلى منزل « ويلشمان » توقفوا لينالوا شيئاً من الراحة . وعندما همّا باستئناف السير ، خرج « ويلشمان » من البيت ، وصاح :

— من هناك ؟

فجاءه الرد :

— « هوكى » و « توم سوير » !

فصاح الرجل :

— تعاليا معي ، إنكما تجعلان الجميع ينتظرون ، هيتاً أسرعاً أماي

وأنا أتولى العربة بدلا منكما . ماذا أرى فيها ؟ طوب ؟

فقال « توم » :

— بل معدن قديم .

فتساءل « ويلشمان » :

— معدن قديم ! هذا ما توقعته ، فأولاد هذه القرية يضيعون

وقتهم في البحث عن أشياء قديمة لا تساوى ملاليم ، ولو أنهم انتظموا في

عمل لكسبوا مالا وفيراً . ولكن هذه طبيعة البشر . هيتاً ، أسرعاً !

فسأله « هوكى » :

— لماذا الإسراع يا سيد « ويلشمان » ؟

فأجابه :



— ستعلم السبب عندما تدخل بيت السيدة « دوجلاس » !
وبعد دقائق وجد الولدان نفسيهما قد أدخلتا غرفة الاستقبال في بيت
السيدة « دوجلاس » ، في حين تركت العربة بالقرب من الباب . وكانت
الغرفة مضاءة ، وفيها عدد من أهل القرية البارزين . وتلوّن وجه الحالة
« بولى » بحمرة الحجل ، وهى ترى ملابس « توم » يغطيها الوحل !
وقال « ويلشمان » :

— لم يرجع « توم » إلى البيت ، وكادت أستسلم لليأس حتى عثرت
عليه هو و « هوكى » أمام باب بيئى ، فأحضرتهما بسرعة .
فقالت السيدة « دوجلاس » :

— حسناً فعلت يا سيد « ويلشمان » . تعاليا معى أيها الولدان !
وأخذتهما السيدة « دوجلاس » إلى الحمام ، وقالت :
— اغتسلا ، وقد أحضرت لكما ملابس جديدة فالبسها ، وهى
ملابس خاصة « بهوكى » ، ولكنها تناسبك أنت أيضاً يا « توم » ، وبعد
أن تفرغا من اللبس ، انزلا إلى المجتمعين فى أسفل .

وبعد أن غادرتهما السيدة « دوجلاس » ، قال « هوكى » :
— اسمع يا « توم » ، إننا نستطيع الهبوط من هذه النافذة إلى الطريق
إذا عثرت على حبل .
فسأله « توم » :
— ولماذا تريد الهرب ؟

فأجابه :

— إننى لم أتعود مثل هذه الحفلات . إننى لن أنزل إليهم فى أسفل

يا « توم » .

فقال « توم » :

— لا تبالغ فى شعورك يا « هوكى » ، وسأكون بجانبك .

وظهر « سدى » ، وقال :

— لقد كانت خالتى فى انتظارك بعد الظهر يا « توم » ، وقد أعدت

لك « مارى » ملابس يوم الأحد ، وكان الجميع يسألون عنك . قل لى

ما الذى لطح ملابسك بالوحل ، وبقايا الشمع ؟

وقاطعه « توم » متسائلاً :

— لماذا أقيمت هذه الحفلة ؟

فرد عليه « سدى » :

— إنها حفلة تقيمها السيدة « دوجلاس » تكريمًا « لجونز ويلشان »

وولديه . ولقد سمعتها تهمس فى أذن خالتى أنها ستذبح سرًا هامًا على

الناس هذه الليلة ، ولكننى أعتقد أن الجميع يعرفون هذا السر ، وهو أن

« هوكى » هو الذى اقتنى أثر اللصين إلى بيتها !



١٥

وبعد دقائق كان ضيوف السيدة « دوجلاس » قد أخذوا أماكنهم حول مائدة الطعام . وقام السيد « جونز » فألقى خطاباً شكر فيه السيدة « دوجلاس » من أجل الشرف. الذى أسبغته عليه وعلى ولديه ، ثم كشف سر الدور الذى قام به « هوكى » فى مغامرة اللصين . وتظاهرت السيدة « دوجلاس » بالدهشة ، وأمطرت « هوكى » بتحياتها ، مما جعله ينسى ضيقه من الحفلة ،

ومن ملابسه الجديدة ، ومن نظرات الحاضرين التي أحاطت به .
واشترك الحاضرون جميعاً مع السيدة « دوجلاس » في الثناء على
« هوكى » . وقالت السيدة إنها تنوى دعوة « هوكى » إلى الإقامة معها في
بيتها ، وتعليمه وإعداده للعمل في المستقبل ، وسوف تقتصد له قدرأ من
المال .

وجاء دور « توم » ، فقال :

— إن « هوكى » ليس في حاجة إلى المال ، فهو غنى !
وكان من الصعب على الحاضرين أن يكتموا ضحكهم على ما بدا
فكاهة من جانب « توم » !

وساد صمت غريب ، ثم استأنف « توم » :

— إن « هوكى » يملك المال فعلا . ربما لا تصدقون هذا ، ولكن
الحقيقة أنه يملك قدرأ كبيرأ من المال . لا تبتسموا ، فأنا مستعد أن أكشف
لكم السر . انتظروا لحظات !

وخرج « توم » ، في حين كان الجميع ينظرون إلى « هوكى » نظرات
استفسار ، أما هو فقد لزم الصمت !

وقالت الخالة « بولى » :

— اسمع يا « سدى » . ماذا جرى « لتوم » ؟ لا فائدة من إصلاح

هذا الولد !

ودخل « توم » وهو يحمل أكياسه الثقيلة ، وأفرغ القطع الذهبية على
المائدة أمام « هوكى » :

— هذا ما كنت أقصده : نصفه لـ « هوكى » ، ونصفه لى !

وحملق الحاضرون فى الذهب بعيون جاحظة من الدهشة ، ولم ينطق
أحد بكلمة بضع لحظات ، ثم انفجر الجميع يسألون عن سر
الكنز !

وشرح « توم » للحاضرين قصة العثور على هذا الكنز . . . وأحصيت
النقود الذهبية ، فبلغت حوالى اثنى عشر ألف دولار ، وهو مبلغ كبير لم
ير أحد من الحاضرين مثله فى حياته !

ووضعت السيدة « دوجلاس » نصيب « هوكى » من الكنز فى البنك
بفائدة قدرها ٦٪ ، ووضع القاضى « ناتشر » نصيب « توم » بالشروط
نفسها كطلب الخالة « بولى » ، فأصبح يتنظر أن يحصل كل ولد منهما على
دخل محترم فى السنة !

* * *

ومنذ ذلك الوقت أصبح الجميع يرحّبون بصحبة « هوكى » ، بعد أن
صار من الأغنياء ، وبعد أن ذهب ليعيش مع السيدة « دوجلاس » ! . .
ولكن متاعبه زادت أكثر مما يحتمل : فقد أصبح مضطراً إلى تناول طعامه
مستخدماً الشوكة والسكين ، والفوطة ، والكوب ، والطبق ، وأن يقرأ
الكتب ليتعلم . . . إلخ .



واحتمل « هوكى » كل هذا العذاب ثلاثة أسابيع ، وبعدها اختفى الولد تماماً . وظلت السيدة « دوجلاس » تبحث عنه في كل مكان أسبوعين كاملين ، ولكن بدون جدوى !

واشترك معها في البحث عدد كبير من سكان القرية .

وفي ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام ، ذهب « توم » يبحث بين البراميل الفارغة خلف المذبح القديم ، وفي برميل منها عثر على « هوكى » الهارب ! .. وكان مرتدياً أسنانه القديمة التي كان يرتديها أيام كان حراً طليقاً سعيداً !

وعندما رجاه «توم» أن يعود إلى بيت السيدة «دوجلاس» ، قال له «هوكى» :

— أرجوك ألا تكلمنى فى هذا الموضوع . صحيح أن السيدة «دوجلاس» كريمة معى ، ولكننى لا أستطيع تحمل أسلوب حياتهم ، فهى تجعلنى أغتسل وأمشط شعرى ، وأرتدى الملابس التى تضايقنى ، وأرتدى الحذاء طول يوم الأحد . وهم يأكلون بميعاد ، وينامون بميعاد ، ويستيقظون بميعاد ، وكل شىء له ميعاد ، وهذا ما لا أستطيع احتمالَه !
فقال له «توم» :

— ولكن ، كل الناس يخضعون لهذا النظام يا «هوكى» !

— ولكننى لست ككل الناس يا «توم» ! لن أستطيع تحمل هذه الحياة ، فى كل مرة أريد صيد السمك أو الاستحمام فى البركة ، لا بد أن آخذ إذنًا ، ولا بد من الاستئذان لعمل أى شىء ! والسيدة «دوجلاس» تمنعنى من الصباح ، ومن التمديد فى العراء . . . كل هذا بالإضافة إلى المدرسة والكتب . اسمع يا «توم» : لأننى لا أهتم بأن أكون غنيًا ، فهذه الملابس البالية تعجبنى ، وهذا البرميل يكفينى ، وهذه الحياة الحرة الطليقة تسعدنى ، ولن أغير حياتى هذه مطلقًا يا «توم» . اذهب وأبلغ السيدة «دوجلاس» هذه الحقيقة ، قل لها إن «هوكى» لا يريد أن يكون غنيًا ، ولا يريد أن يعيش فى المنازل . . . فإننى أحب الغابة ، والنهر ، والبراميل ، ولن أتحول عن حبها !

فقال « توم » :

— اسمع يا « هوكى » ، ألا تريد أن تنضم إلى النادى الذى سأقيمه ؟
إننى سأشرع فى تكوين ناد يجمع أحسن أولاد القرية !
— حقاً يا « توم » ؟

— طبعاً ، ولكن لن نستطيع ضمك إلى هذا النادى ما لم يكن
مظهرك محترماً .

وتكدر « هوكى » ، وقال :

— كيف لا تسمح لى بالانضمام إلى ناديك ، وقد اشركنا معاً فى
مغامرات كثيرة ؟

— ولكن الأمر يختلف يا « هوكى » ، فهذا النادى سيكون له اسم
محترم بين الناس . كل الناس سيتكلمون عن « نادى توم سوير » ، فهل
ترضى أن يقال إن النادى يضم المتشردين ؟

وصمت « هوكى » لحظة ، وأخيراً قال :

— حسناً يا « توم » . سأعود إلى بيت السيدة دوغلاس إذا
سمحت لى بالانضمام إلى النادى !

— مدهش يا « هوكى » ، وإنا سأطلب من السيدة أن تمنحك شيئاً
من الحرية .

— ومتى ستبدأ تكوين أعضاء النادى ؟

— الليلة سأدعو الأولاد إلى اجتماع لحلف اليمين ، واحترام شعار

النادى : سنقسم على أن يقف كل واحد إلى جانب زميله ، وأن يحافظ على أسرار النادى ، وينتقم من كل من يعتدى على أى فرد فيه .

– هذا رائع يا « توم » ! ! وأين يكون الاجتماع ؟

– سيكون فى البيت المسكون ، فى منتصف الليلة !

– هذا رائع ، رائع جداً يا « توم » ! .. إننى سأقيم فى بيت السيدة « دوجلاس » لإقامة دائمة ، حتى أكون عضواً منتظماً فى هذا النادى الذى سوف يتحدث عنه كل الناس . وأعتقد أن السيدة « دوجلاس » ستكون فخورة بى . .

(تمت)

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المسلوة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام

ظهر منها :

- | | |
|------------------------|-------------------------|
| ١٣ - كنوز الملك سليمان | ١ - عمرون شاه |
| ١٤ - سجين زندا | ٢ - مملكة السحر |
| ١٥ - الزنبقة السوداء | ٣ - كريم الدين البغدادي |
| ١٦ - مون فليت | ٤ - آلة الزمان |
| ١٧ - مقبرة الأفيال | ٥ - الأمير والفقير |
| ١٨ - الربان بلود | ٦ - كتاب الأدغال |
| ١٩ - تيودورا | ٧ - بينوكيو |
| ٢٠ - أوليفر تويست | ٨ - نبوءة المنجم |
| ٢١ - دافيد كوبرفيلد | ٩ - روبن هود |
| ٢٢ - في مهب الريح | ١٠ - دون كيشوت |
| ٢٣ - الفخ الذهبي | ١١ - إيفينو |
| ٢٤ - عودة المحارب | ١٢ - جزيرة الكنز |
| ٢٦ - نساء صغيرات | ٢٥ - حصان طرودة |
| | ٢٧ - نوم سوير |

4
9

ISILIBIOTHECA Alexandrina



0656674

٢١٢٥٩٦/٠٢